الدروس الرمضانية

من كُتب

الحافظ ابن رجب

-رحمه الله-

(مذيلة بأكثر من ٧٠ فائدة تتعلق بالصيام والقرآن من جميع كتبه)

انتقاء وترتيب

عبد الله بن سعيد أبوحاوي القحطاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الملك القهّار، العزيز الجبّار، الرّحيم الغفّار، مقلّب القلوب والأبصار، مقدّر الأمور كما يشاء ويختار، مكوّر النّهار على الليل، ومكوّر اللّيل على النّهار، أسبل ذيل الليل فأظلم للسكون والاستتار، وأنار منار النّهار، فأضاء للحركة والانتشار، وجعلهما مواقيت للأعمال ومقادير للأعمار، وسخّر الشّمس والقمر يجريان بحسبان ومقدار، ويعتقبان في دارة الفلك الدوّار على تعاقب الأدوار، وجعلهما معالم ليعلم بهما أوقات الليالي والأيام والشهور والأعوام في هذه الدّار، ويهتدى بهما إلى ميقات الصّلاة، والزّكاة، والحجّ، والصّيام والإفطار، حجّة قائمة قاطعة للأعذار، وحكمة بالغة من حكيم عليم ذي اقتدار.

أحمده، وحلاوة محامده تزداد مع التّكرار، وأشكره، وفضله على من شكر مدرار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تبرئ قائلها من الشّرك بصحة الإقرار، وتبوّئ قائلها دار القرار. وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله؛ البدر جبينه إذا سرّ استنار، واليمّ يمينه فإذا سئل أعطى عطاء من لا يخشى الإقتار، والحنيفيّة دينه الدّين القيّم المختار، رفع الله ببعثته عن أمّته الأغلال والآصار، وكشف بدعوته أذى البصائر وقذى الأبصار، وفرّق بشريعته بين المتّقين والفجّار، حتى امتاز أهل اليمين من أهل اليسار، وانفتحت أقفال القلوب فانشرحت بالعلم والوقار، وزال عن الأسماع أثقال الأوقار. صلّى الله عليه وعلى آله أولي الإقدام والأقدار، وعلى أصحابه أقطاب الأقطار صلاة تبلّغهم في تلك الأوطان نهاية الأوطار، وسلم تسليمًا. أما بعد:

فلقد كان من أكثر الكُتب قبولًا عند الخاصة والعامة من مئات الأعوام وإلى وقتنا هذه الأيام كُتب الحافظ العالم والبحر المتلاطم الإمام عبد الرحمن بن رجب بن

الحنبلي -رحمه الله- وجمعنا به في بحبوحة جنته، بل ولا يخفى على كل أحدٍ ما فيها من تحريراتٍ بديعة، واستنباطاتٍ عجيبة، وفوائد رفيعة تدل على علو كعبٍ في العلم بجميع فنونه، إلا أن الإفادة منها قد اقتصر على خاصة الخاصة، وهذا ما جعلني أتحسَّر على أنه لم يُنتَفع بها على الوجه المطلوب، وبخاصةٍ في زماننا المتكاثَر فيه من الشرور والخطوب.

طرأت الفكرة، ثم طُبِّقَت ولله الحمد والمنَّة أن يُنتقى من كُتبه دروسًا قصيرة تُناسب حاجة العامة، بل والخاصة؛ لتتقوى البصيرة، ويُنشَر الخير، وينتفع كل فردٍ وعشيرة.

زِد على ذلك أن الانتقاء من كتاب (الداء والدواء) لابن القيم على هيئة ما ذُكِر قد انتفع به أُناس، فتشجَّعت وأنا أول المنتفعين والمحتاجين، وانتقيت في البداية وقرب الحاجة دروسًا رمضانية من كتاب "لطائف المعارف" عنونت لكل درسٍ ما يُناسب مضمونه وقسمتها إلى ثلاثين درسًا موافقًا كل يومٍ في الغالب ما يُقرأ فيه، ثم ذيَّلتُها بفوائد علمية، وفوائد وعظية وإرشادية من جميع كُتبه الأخرى تتعلق فقط بالصيام والقرآن شريطة ألا تكون مذكورةً في الكتاب المنتقى منه.

وبالله الثقة، وعليه التُّكلان، وهو المستعان.

الدرس الأول

(البشارة بقدوم رمضان والفرح ببلوغه)

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وعلى آله وأصحابه، ومن اقتفى أثرهم إلى يوم الدين، أما بعد:

قال الإمام ابن رجب –رحمه الله–:

كان النبيّ ﷺ يبشّر أصحابه بقدوم رمضان، كما خرّجه الإمام أحمد والنسائي عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: كان النبيّ ﷺ يبشّر أصحابه، يقول: **«قد جاءكم شهر رمضان، شهر مبارك، كتب الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغلّ فيه الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم»**[1].

قال بعض العلماء: هذا الحديث أصل في تهنئة النّاس بعضهم بعضًا بشهر رمضان.

كيف لا يبشّر المؤمن بفتح أبواب الجنان، كيف لا يبشّر المذنب بغلق أبواب النيران، كيف لا يبشّر العاقل بوقت يغلّ فيه الشيطان، من أين يشبه هذا الزمان زمان؟ وفي حديث آخر: **«أتاكم رمضان سيد الشّهور، فمرحبا به وأهلا»**.

جاء شهر الصّيام بالبركات ... فأكرم به من زائر هو آت

وروي أنّ النبيّ ﷺ كان يدعو ببلوغ رمضان، فكان إذا دخل شهر رجب يقول: **«اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلّغنا رمضان»**[2] خرّجه الطبراني وغيره من حديث أنس.

وقال معلّى بن الفضل: كانوا يدعون الله ستة أشهر أن يبلّغهم رمضان، ثم يدعونه ستة أشهر أن يتقبّل منهم. وقال يحي بن أبي كثير: كان من دعائهم: اللهم سلّمني إلى رمضان، وسلّم لي رمضان، وتسلّمه منّي متقبّلا.

---

(١) أخرجه: أحمد (٤٢٥، ٣٨٥، ٢/ ٢٣٠)، والنسائي (٤/ ١٢٩)، عبد الرزاق (٨٣٨٣)، وابن عبد البر في التمهيد (١٦/ ١٥٤).

(٢) أخرجه: أحمد (١/ ٢٥٩)، والبزار (٦١٦ –كشف)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٦٥٩)، والطبراني في المعجم الأوسط (٤/ ١٨٩) (٣٩٣٩)، والبيهقي في الشعب (٣٨١٥)، وأبو نعيم (٦/ ٢٩٦).

بلوغ شهر رمضان وصيامه نعمة عظيمة على من أقدره الله عليه، ويدلّ عليه حديث الثلاثة الذين استشهد اثنان منهم، ثم مات الثالث على فراشه بعدهما، فرئي في المنام سابقا لهما، فقال النبيّ ﷺ: **«أليس صلّى بعدهما كذا وكذا صلاة، وأدرك رمضان فصامه، فو الذي نفسي بيده، إنّ بينهما لأبعد ممّا بين السّماء والأرض»**[1] خرّجه الإمام أحمد وغيره.

من رحم في رمضان فهو المرحوم، ومن حرم خيره فهو المحروم، ومن لم يتزوّد فيه لمعاده فهو ملوم.

أتى رمضان مزرعة العباد ... لتطهير القلوب من الفساد

فأدّ حقوقه قولًا وفعلًا ... وزادك فاتّخذه للمعاد

فمن زرع الحبوب وما سقاها ... تأوّه نادمًا يوم الحصاد

كم ممّن أمّل أن يصوم هذا الشهر فخانه أمله، فصار قبله إلى ظلمة القبر.

كم من مستقبل يوما لا يستكمله، ومؤمّل غدا لا يدركه. إنّكم لو أبصرتم الأجل ومسيره، لأبغضتم الأمل وغروره.

يا ذا الذي ما كفاه الذّنب في رجب ... حتّى عصى ربّه في شهر شعبان

لقد أظلّك شهر الصّوم بعدهما ... فلا تصيّره أيضا شهر عصيان

واتل القران وسبّح فيه مجتهدًا ... فإنّه شهر تسبيح وقرآن

واحمل على جسد ترجو النّجاة له ... فسوف تضرم أجساد بنيران

كم كنت تعرف ممّن صام في سلف ... من بين أهل وجيران وإخوان

أفناهم الموت واستبقاك بعدهم ... حيّا فما أقرب القاصي من الدّاني

ومعجب بثياب العيد يقطعها ... فأصبحت في غد أثواب أكفان

حتّى متى يعمر الإنسان مسكنه ... مصير مسكنه قبر لإنسان[2]

(١) أخرجه: أحمد (١/ ١٦٢)، (٢/ ٣٣٣)، وابن ماجه (٣٩٢٥)، والبيهقي (٣/ ٣٧١).
(٢) "لطائف المعارف" (ص ٢٦٤ إلى ٢٦٧).

الدرس الثاني

(فضل الصيام)

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وعلى آله وأصحابه، ومن اقتفى أثرهم إلى يوم الدين، أما بعد:

ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة –رضي الله عنه– عن النبي ﷺ، قال: «**كلّ عمل ابن آدم له؛ الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله عز وجل: إلاّ الصّيام فإنّه لي وأنا أجزي به، إنّه ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي.**

للصّائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربّه، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك»[(١)].

وفي رواية: «**كلّ عمل ابن آدم له إلاّ الصّيام فإنّه لي**». وفي رواية للبخاري: «**لكلّ عمل كفّارة، والصّوم لي وأنا أجزي به**». وخرّجه الإمام أحمد من هذا الوجه، ولفظه: «**كلّ عمل ابن آدم كفارة إلاّ الصّوم، والصّوم لي، وأنا أجزي به**»[(٢)].

فعلى الرواية الأولى: يكون استثناء الصوم من الأعمال المضاعفة، فتكون الأعمال كلّها تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلاّ الصيام فإنّه لا ينحصر تضعيفه في هذا العدد، بل يضاعفه الله أضعافا كثيرة بغير حصر عدد؛ فإنّ الصيام من الصّبر، وقد قال الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ [الزّمر: ١٠].

ولهذا ورد عن النبيّ ﷺ أنّه سمّى شهر رمضان شهر الصّبر[(٣)] وفي حديث آخر عنه ﷺ، قال: «**الصّوم نصف الصّبر**»[(٤)] خرّجه الترمذيّ.

---

(١) أخرجه: البخاري (١٩٠٤) (٥٩٢٧) (٣٤، ٣/ ٣١)، ومسلم (٣/ ١٥٧ – ١٥٨) (١١٥١)، والترمذي (٧٦٤)، والنسائي (٢٢١٥)، وابن ماجه (١٦٣٨).

(٢) أخرجه: أحمد (٢٧٣، ٢/ ٢٥٧).

(٣) أخرجه: أبو داود (٢٤٢٨)، وابن ماجه (١٧٤١).

(٤) أخرجه: الترمذي (٣٥١٩).

والصّبر ثلاثة أنواع: صبر على طاعة الله، وصبر عن محارم الله، وصبر على أقدار الله المؤلمة. وتجتمع الثلاثة كلّها في الصوم؛ فإنّ فيه صبرا على طاعة الله، وصبرا عمّا حرّم الله على الصّائم من الشّهوات، وصبرا على ما يحصل للصّائم فيه من ألم الجوع والعطش، وضعف النفس والبدن.

وهذا الألم الناشئ من أعمال الطّاعات يثاب عليه صاحبه، كما قال تعالى في المجاهدين: ﴿ذلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلا يَطَؤُنَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفّارَ وَلا يَنالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلاّ كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صالِحٌ إِنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[التّوبة: ١٢٠].

وفي حديث سلمان المرفوع الذي أخرجه ابن خزيمة في صحيحه في فضل شهر رمضان «**وهو شهر الصّبر، والصّبر ثوابه الجنّة**» (١) وفي الطبراني عن ابن عمر مرفوعًا: «**الصّيام لله لا يعلم ثواب عمله إلاّ الله عز وجل**»(٢).

فلمّا كان الصّيام في نفسه مضاعفا أجره بالنسبة إلى سائر الأعمال، كان صيام شهر رمضان مضاعفًا على سائر الصّيام؛ لشرف زمانه، وكونه هو الصّوم الذي فرضه الله على عباده، وجعل صيامه أحد أركان الإسلام التي بني الإسلام عليها.

وقد يضاعف الثّواب بأسباب أخر؛ منها: شرف العامل عند الله وقربه منه، وكثرة تقواه، كما ضوعف أجر هذه الأمّة على أجور من قبلهم من الأمم، وأعطوا كفلين من الأجر(٣).

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) أخرجه: ابن خزيمة (١٨٨٧).

(٢) أخرجه: الطبراني في الأوسط (٨٦٥).

(٣) "لطائف المعارف" (ص ٢٦٨ إلى ٢٧٠).

الدرس الثالث

(تتمة فضل الصيام)

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وعلى آله وأصحابه، ومن اقتفى أثرهم إلى يوم الدين، أما بعد:

وقد كان رسول الله ﷺ يصوم رمضان في السّفر في شدّة الحرّ دون أصحابه، كما قال أبو الدّرداء: **«كنّا مع النبيّ ﷺ في رمضان في سفر وأحدنا يضع يده على رأسه من شدّة الحرّ، وما فينا صائم إلاّ رسول الله ﷺ وعبد الله بن رواحة»** (١) وفي الموطأ أنّه ﷺ كان بالعرج يصبّ الماء على رأسه وهو صائم من العطش، أو الحر(٢) فإذا اشتدّ توقان النّفس إلى ما تشتهيه مع قدرتها عليه، ثم تركته لله عز وجل في موضع لا يطّلع عليه إلاّ الله، كان ذلك دليلا على صحّة الإيمان؛ فإنّ الصّائم يعلم أن له ربّا يطّلع عليه في خلوته، وقد حرّم عليه أن يتناول شهواته المجبول على الميل إليها في الخلوة، فأطاع ربّه، وامتثل أمره، واجتنب نهيه خوفا من عقابه، ورغبة في ثوابه، فشكر الله له ذلك، واختصّ لنفسه عمله هذا من بين سائر أعماله؛ ولهذا قال بعد ذلك: إنّه إنّما ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي. قال بعض السّلف: طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعد غيب لم يره.

لما علم المؤمن الصّائم أنّ رضا مولاه في ترك شهواته، قدّم رضا مولاه على هواه؛ فصارت لذّته في ترك شهوته لله؛ لإيمانه باطلاع الله. وثوابه وعقابه أعظم من لذّته في تناولها في الخلوة؛ إيثارا لرضا ربّه على هوى نفسه، بل المؤمن يكره ذلك في خلوته أشدّ من كراهته لألم الضّرب.

ولهذا كثير من المؤمنين لو ضرب على أن يفطر في شهر رمضان لغير عذر لم يفعل؛ لعلمه كراهة الله لفطره في هذا الشهر، وهذا من علامات الإيمان أن يكره المؤمن ما يلائمه من شهواته إذا علم أنّ الله يكرهه، فتصير لذّته فيما يرضي مولاه وإن كان مخالفا لهواه، ويكون ألمه فيما يكرهه مولاه، وإن كان موافقا لهواه.

---

(١) أخرجه: البخاري (٣/ ٤٣ -٤٤) (١٩٤٥)، ومسلم (٣/ ١٤٥) (١١٢٢).

(٢) أخرجه: مالك في «الموطأ» (ص ١٩٧).

وإذا كان هذا فيما حرّم لعارض الصّوم من الطّعام والشراب ومباشرة النساء، فينبغي أن يتأكّد ذلك فيما حرّم على الإطلاق، كالزّنا، وشرب الخمر، وأخذ الأموال أو الأعراض بغير حقّ، وسفك الدّماء المحرّمة؛ فإنّ هذا يسخط الله على كلّ حال وفي كلّ زمان ومكان، فإذا كمل إيمان المؤمن كره ذلك كلّه أعظم من كراهته للقتل والضّرب.

ولهذا جعل النبيّ ﷺ من علامات وجود حلاوة الإيمان: أن يكره أن يرجع إلى الكفر بعد أن أنقذه الله، كما يكره أن يلقى في النّار. وقال يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ [يوسف:٣٣].

سئل ذو النون: متى أحبّ ربّي؟ قال: إذا كان ما يكرهه أمرّ عندك من الصّبر. وقال غيره: ليس من أعلام المحبّة أن تحبّ ما يكرهه حبيبك.

وكثير من النّاس يمشي على العوائد دون ما يوجبه الإيمان ويقتضيه، فلهذا كثير منهم لو ضرب ما أفطر في رمضان لغير عذر. ومن جهّالهم من لا يفطر لعذر ولو تضرّر بالصّوم، مع أنّ الله يحبّ منه أن يقبل رخصته، جريًا على العادة، وقد اعتاد مع ذلك ما حرّم الله من الزّنا وشرب الخمر وأخذ الأموال والأعراض أو الدّماء بغير حقّ، فهذا يجري على عوائده في ذلك كلّه لا على مقتضى الإيمان، ومن عمل بمقتضى الإيمان صارت لذّته في مصابرة نفسه عمّا تميل نفسه إليه إذا كان فيه سخط الله، وربّما يرتقي إلى أن يكره جميع ما يكرهه الله منه، وينفر منه وإن كان ملائمًا للنفوس[1].

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

—•———•(((❁)))•———•—

(١) "لطائف المعارف" (ص ٢٧٣ إلى ٢٧٤).

الدرس الرابع

(ثواب من ترك طعامه وشهوته لأجل الله)

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وعلى آله وأصحابه، ومن اقتفى أثرهم إلى يوم الدين، أما بعد:

الصّيام سرّ بين العبد وربّه لا يطّلع عليه غيره؛ لأنّه مركّب من نيّة باطنة لا يطّلع عليها إلاّ الله، وترك لتناول الشهوات التي يستخفى بتناولها في العادة، ولذلك قيل: لا تكتبه الحفظة. وقيل: إنّه ليس فيه رياء، كذا قاله الإمام أحمد وغيره؛ وفيه حديث مرفوع مرسل. وهذا الوجه اختيار أبي عبيد وغيره. وقد يرجع إلى الأول؛ فإنّ من ترك ما تدعوه نفسه إليه لله تعالى حيث لا يطّلع عليه غير من أمره ونهاه، دلّ على صحّة إيمانه. والله تعالى يحبّ من عباده أن يعاملوه سرّا بينهم وبينه، وأهل محبّته يحبّون أن يعاملوه سرّا بينهم وبينه، بحيث لا يطّلع على معاملتهم إيّاه سواه، حتّى كان بعضهم يودّ لو تمكّن من عبادة لا تشعر بها الملائكة الحفظة، وقال بعضهم -لما اطّلع على بعض سرائره-: إنّما كانت تطيب الحياة لما كانت المعاملة بيني وبينه سرّا، ثم دعا لنفسه بالموت فمات.

المحبّون يغارون من اطلاع الأغيار على الأسرار التي بينهم وبين من يحبّهم ويحبّونه.

نسيم صبا نجد متى جئت حاملًا ... تحيتهم فاطو الحديث عن الرّكب

ولا تذع السّرّ المصون فإنّني ... أغار على ذكر الأحبّة من صحبي

وقوله: «**ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي**» فيه إشارة إلى المعنى الذي ذكرناه، وأنّ الصائم تقرّب إلى الله بترك ما تشتهيه نفسه من الطعام والشراب والنّكاح، وهذه أعظم شهوات النفس.

وفي التقرّب بترك هذه الشهوات بالصيام فوائد:

منها: كسر النفس؛ فإنّ الشّبع والرّيّ ومباشرة النّساء تحمل النفس على الأشر والبطر والغفلة.

ومنها: تخلّي القلب للفكر والذّكر؛ فإنّ تناول هذه الشهوات قد تقسّي القلب وتعميه، وتحول بين العبد وبين الذّكر والفكر، وتستدعي الغفلة. وخلوّ الباطن من الطعام والشراب ينوّر القلب، ويوجب رقّته، ويزيل قسوته، ويخليه للذكر والفكر.

ومنها: أنّ الغنيّ يعرف قدر نعمة الله عليه بإقداره له على ما منعه كثيرا من الفقراء من فضول الطّعام والشراب والنّكاح؛ فإنّه بامتناعه من ذلك في وقت مخصوص وحصول المشقّة له بذلك، يتذكر به من منع من ذلك على الإطلاق، فيوجب له ذلك شكر نعمة الله عليه بالغنى، ويدعوه إلى رحمة أخيه المحتاج ومواساته بما يمكن من ذلك.

ومنها: أنّ الصّيام يضيّق مجاري الدم التي هي مجاري الشيطان من ابن آدم؛ فإن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدّم، فتسكن بالصّيام وساوس الشّيطان، وتنكسر سورة الشهوة والغضب، ولهذا جعل النبيّ ﷺ الصّوم وجاء[1]؛ لقطعه عن شهوة النّكاح[2].

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

—•———•(((❋)))•———•—

(١) أخرجه: البخاري (٣/ ٣٤) (١٩٠٥)، ومسلم (٤/ ١٢٨) (١٤٠٠).

(٢) "لطائف المعارف" (ص ٢٧٥ إلى ٢٧٧).

الدرس الخامس

(ضرورة ترك المحرمات كلها حال الصيام)

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وعلى آله وأصحابه، ومن اقتفى أثرهم إلى يوم الدين، أما بعد:

واعلم؛ أنّه لا يتمّ التقرّب إلى الله عز وجل بترك هذه الشهوات المباحة في غير حالة الصّيام إلا بعد التقرّب إليه بترك ما حرّم الله في كلّ حال؛ من الكذب والظلم والعدوان على الناس في دمائهم وأموالهم وأعراضهم، ولهذا قال النبيّ ﷺ: **«من لم يدع قول الزّور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»**[1] خرّجه البخاريّ. وفي حديث آخر: **«ليس الصّيام من الطّعام والشراب، إنّما الصّيام من اللغو والرّفث»**. قال الحافظ أبو موسى المدينيّ: هو على شرط مسلم.

قال بعض السّلف: أهون الصّيام ترك الشراب والطعام. وقال جابر: إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم، ودع أذى الجار، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صومك، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء.

إذا لم يكن في السّـــمع منّي تصـــاون ... وفي بصـري غضّ وفي منطقي صـمت

فحظّي إذا من صـــومي الجوع والظّمأ ... فإنّ قلت إنّي صمت يومي فما صمت

وقال النبيّ ﷺ: **«ربّ صائم حظّه من صيامه الجوع والعطش، وربّ قائم حظّه من قيامه السّهر»**[2] وسرّ هذا أنّ التقرّب إلى الله عز وجل بترك المباحات لا يكمل إلاّ بعد التقرّب إليه بترك المحرّمات، فمن ارتكب المحرّمات ثم تقرّب بترك المباحات، كان بمثابة من يترك الفرائض ويتقرّب بالنوافل، وإن كان صومه مجزئا عند الجمهور بحيث لا يؤمر بإعادته؛ لأنّ العمل إنّما يبطل بارتكاب ما نهي عنه فيه لخصوصه، دون ارتكاب ما نهي عنه لغير معنى يختصّ به. هذا هو أصل جمهور العلماء.

---

(١) أخرجه: البخاري (٣/ ٣٣) (١٩٠٣).

(٢) أخرجه: أحمد (٢/ ٣٧٣)، وابن ماجه (١٦٩٠)، وأبو يعلى (٦٥٥١)، وابن خزيمة (١٩٩٧)، والحاكم (١/ ٤٣١).

وفي «**مسند الإمام أحمد**»: أنّ امرأتين صامتا في عهد النّبيّ ﷺ فكادتا أن تموتا من العطش، فذكر ذلك للنبي ﷺ فأعرض، ثم ذكرتا له فدعاهما فأمرهما أن يتقيئا، فقاءتا ملء قدح قيحا ودما وصديدا ولحما عبيطا، فقال النبي ﷺ: «**إنّ هاتين صامتا عمّا أحلّ الله لهما، وأفطرتا على ما حرّم الله عليهما؛ جلست إحداهما إلى الأخرى، فجعلتا يأكلان لحوم النّاس**» (١).

ولهذا المعنى –والله أعلم – ورد في القرآن بعد ذكر تحريم الطعام والشّراب على الصّائم بالنّهار ذكر تحريم أكل أموال الناس بالباطل؛ فإنّ تحريم هذا عام في كلّ زمان ومكان، بخلاف الطعام والشراب، فكان إشارة إلى أنّ من امتثل أمر الله في اجتناب الطعام والشراب في نهار صومه، فليمتثل أمره في اجتناب أكل الأموال بالباطل؛ فإنّه محرّم بكلّ حال لا يباح في وقت من الأوقات(٢).

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

—•———•(((❁)))•———•—

(١) أخرجه: أحمد (٥/ ٤٣١)، وأبو يعلى (١٥٧٦)، والبيهقي في الدلائل (٦/ ١٨٦)، وقال في مجمع الزوائد (٣/ ١٧١) رواه أحمد، وأبو يعلى، وفيه «رجل لم يسم».

(٢) "لطائف المعارف" (ص ٢٧٧ – ٢٧٨).

الدرس السادس

(للصائم فرحتان)

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وعلى آله وأصحابه، ومن اقتفى أثرهم إلى يوم الدين، أما بعد:

قوله ﷺ: «**وللصّائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربّه**»:

أمّا فرحة الصّائم عند فطره؛ فإن النفوس مجبولة على الميل إلى ما يلائمها من مطعم ومشرب ومنكح، فإذا منعت من ذلك في وقت من الأوقات ثم أبيح لها في وقت آخر، فرحت بإباحة ما منعت منه، خصوصا عند اشتداد الحاجة إليه؛ فإنّ النفوس تفرح بذلك طبعًا، فإن كان ذلك محبوبًا لله كان محبوبًا شرعًا. والصّائم عند فطره كذلك، فكما أنّ الله تعالى حرّم على الصّائم في نهار الصّيام تناول هذه الشهوات، فقد أذن له فيها في ليل الصّيام، بل أحبّ منه المبادرة إلى تناولها في أوّل الليل وآخره، فأحبّ عباده إليه أعجلهم فطرا، والله وملائكته يصلّون على المتسحّرين.

فالصّائم ترك شهواته لله بالنّهار تقرّبًا إليه وطاعة له؛ وبادر إليها في اللّيل تقرّبًا إلى الله وطاعة له، فما تركها إلاّ بأمر ربّه، ولا عاد إليها إلاّ بأمر ربّه؛ فهو مطيع له في الحالين. ولهذا نهي عن الوصال في الصّيام، فإذا بادر الصّائم إلى الفطر تقرّبا إلى مولاه، وأكل وشرب وحمد الله؛ فإنّه يرجى له المغفرة أو بلوغ الرّضوان بذلك. وفي الحديث: «**إنّ الله ليرضى عن عبده أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، ويشرب الشّربة فيحمده عليها**»[1].

وربّما استجيب دعاؤه عند ذلك، كما في الحديث المرفوع الذي خرّجه ابن ماجه: «**إنّ للصّائم عند فطره دعوة ما تردّ**»[2].

وإن نوى بأكله وشربه تقوية بدنه على القيام والصّيام، كان مثابا على ذلك.

كما أنه إذا نوى بنومه في الليل والنّهار التقوّي على العمل، كان نومه عبادة.

---

(١)أخرجه: مسلم (٨/ ٨٧) (٢٧٣٤).

(٢)أخرجه: ابن ماجه (١٧٥٣)، وانظر: «إرواء الغليل» (٩٢١)، و «الكلم الطيب» (١٦٣).

وفي حديث مرفوع: «**نوم الصّائم عبادة**»[1] قالت حفصة بنت سيرين: قال أبو العالية: الصّائم في عبادة ما لم يغتب أحدا وإن كان نائما على فراشه. قال: وكانت حفصة تقول: "يا حبّذا عبادة وأنا نائمة على فراشي". خرّجه عبد الرزاق.

فالصّائم في ليله ونهاره في عبادة، ويستجاب دعاؤه في صيامه وعند فطره.

فهو في نهاره صائم صابر؛ وفي ليله طاعم شاكر. وفي الحديث الذي خرّجه الترمذي وغيره: «**الطّاعم الشّاكر بمنزلة الصّائم الصّابر**»[2].

ومن فهم هذا الذي أشرنا إليه لم يتوقّف في معنى فرح الصّائم عند فطره؛ فإنّ فطره على الوجه المشار إليه من فضل الله ورحمته، فيدخل في قول الله تعالى: ﴿**قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ**﴾ [يونس:٥٨]. ولكن شرط ذلك أن يكون فطره على حلال، فإن كان فطره على حرام كان ممّن صام عمّا أحلّ الله، وأفطر على ما حرّم الله، ولم يستجب له دعاء، كما قال النبي ﷺ في الذي يطيل السّفر: «**يمدّ يديه إلى السّماء: يا ربّ، يا ربّ، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذّي بالحرام، فأنّي يستجاب لذلك**»[3].

وأمّا فرحه عند لقاء ربه؛ فبما يجده عند الله من ثواب الصّيام مدّخرا، فيجده أحوج ما كان إليه، كما قال الله تعالى: ﴿**وَما تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا**﴾ [المزمّل:٢٠]. وقال تعالى: ﴿**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا**﴾ [آل عمران:٣٠]. وقال تعالى: ﴿**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ**﴾ [الزّلزلة:٧].

وقد تقدّم قول ابن عيينة أنّ ثواب الصائم لا يأخذه الغرماء في المظالم بل يدّخره الله عنده للصّائم حتى يدخله به الجنّة. وفي المسند عن عقبة بن عامر، عن النبي ﷺ، قال: «**ليس من عمل يوم إلاّ يختم عليه**»[4].

---

(١) أخرجه: أبو نعيم في حلية الأولياء (٥/ ٨٣)، والسهمي في تاريخ جرجان (٣٧٠)، والشجري في الأمالي (٢٨٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٩٣٩)

(٢) أخرجه: أحمد (٢٨٩، ٢/ ٢٨٣)، والترمذي (٢٤٨٦)، وأبو يعلى (٦٥٨٢)، وابن خزيمة (١٨٩٨)، والحاكم (٤/ ١٣٦).

(٣) أخرجه: مسلم (٣/ ٨٥ -٨٦) (١٠١٥).

(٤) أخرجه: أحمد (٤/ ١٤٦)، والطبراني (١٧/ ٧٨٢)، والحاكم (٤/ ٢٦٠)، (٤/ ٣٠٨ -٣٠٩)، والبغوي في «شرح السنة» (١٤٢٨).

وعن عيسى عليه السلام، قال: إنّ هذا الليل والنّهار خزانتان، فانظروا ما تضعون فيهما. فالأيام خزائن للناس ممتلئة بما خزنوه فيها من خير وشرّ. وفي يوم القيامة تفتح هذه الخزائن لأهلها؛ فالمتقون يجدون في خزائنهم العزّ والكرامة، والمذنبون يجدون في خزائنهم الحسرة والنّدامة[1].

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(١) "لطائف المعارف" (ص ٢٧٨ إلى ٢٨١).

الدرس السابع

(طبقات الصوّام)

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وعلى آله وأصحابه، ومن اقتفى أثرهم إلى يوم الدين، أما بعد:

الصائمون على طبقتين:

إحداهما: من ترك طعامه وشرابه وشهوته لله تعالى، يرجو عنده عوض ذلك في الجنة، فهذا قد تاجر مع الله وعامله، والله تعالى لا يضيع أجر من أحسن عملا، ولا يخيب معه من عامله، بل يربح عليه أعظم الرّبح. وقال رسول الله ﷺ لرجل: «**إنّك لن تدع شيئا اتّقاء الله إلاّ آتاك الله خيرا منه**»(١)

خرّجه الإمام أحمد. فهذا الصّائم يعطى في الجنة ما شاء الله من طعام وشراب ونساء، قال الله تعالى: ﴿**كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ**﴾[الحاقّة: ٢٤]. قال مجاهد وغيره: نزلت في الصّوّام.

قال يعقوب بن يوسف الحنفي: بلغنا أنّ الله تعالى يقول لأوليائه يوم القيامة: يا أوليائي، طالما نظرت إليكم في الدّنيا وقد قلصت شفاهكم عن الأشربة، وغارت أعينكم، وخفت بطونكم؛ كونوا اليوم في نعيمكم، وتعاطوا الكأس فيما بينكم، وكلوا واشربوا هنيئا بما أسفلتم في الأيام الخالية.

وقال الحسن: تقول الحوراء لولي الله وهو متكئ معها على نهر العسل تعاطيه الكأس: إنّ الله نظر إليك في يوم صائف بعيد ما بين الطرفين، وأنت في ظمأ هاجرة من جهد العطش، فباهى بك الملائكة، وقال: انظروا إلى عبدي ترك زوجته وشهوته ولذّته وطعامه وشرابه من أجلي، رغبة فيما عندي، اشهدوا أنّي قد غفرت له؛ فغفر لك يومئذ وزوجنيك.

وفي الصحيحين عن النّبيّ ﷺ، قال: «**إنّ في الجنّة بابا يقال له: الرّيّان، يدخل منه الصّائمون، لا يدخل منه غيرهم**»(٢) وفي رواية: «**فإذا دخلوا أغلق**». وفي رواية: «**من دخل منه شرب، ومن شرب لم يظمأ أبدا**».

---

(١) أخرجه: أحمد (٧٩، ٥/ ٧٨)، والبيهقي (٥/ ٣٣٥)، وفي الزهد له (٩٣٧، ٣٥٥)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ١٩٦).

(٢) أخرجه: البخاري (٣/ ٣٢) (١٨٩٦)، ومسلم (٣/ ١٥٨ - ١٥٩) (١١٥٢).

وفي حديث عبد الرحمن بن سمرة، عن النبي ﷺ في منامه الطويل، قال: «**ورأيت رجلا من أمّتي يلهث عطشا، كلّما ورد حوضا منع، فجاءه صيام رمضان، فسقاه وأرواه**»[1] خرّجه الطبراني وغيره.

وعن أنس موقوفا: «**إنّ لله مائدة لم تر مثلها عين، ولم تسمع أذن، ولا خطر على قلب بشر، لا يقعد عليها إلاّ الصّائمون**».

اجتاز بعض الصالحين بمناد ينادي على السّحور في رمضان: ياما خبأنا للصّوّام! فتنبّه بهذه الكلمة، وأكثر من الصّيام. رأى بعض العارفين في منامه كأنه أدخل الجنّة، فسمع قائلا يقول له: هل تذكر أنّك صمت لله يوما قطّ؟ فقال: نعم. قال: فأخذتني صواني النّثار من الجنة. من ترك لله في الدنيا طعاما وشرابا وشهوة مدة يسيرة عوضه الله عنده طعاما وشرابا لا ينفد، وأزواجا لا يمتنى أبدا. شهر رمضان فيه يزوّج الصائمون.

في الحديث: «**إنّ الجنّة لتزخرف وتنجّد من الحول إلى الحول لدخول رمضان، فتقول الحور: يا ربّ، اجعل لنا في هذا الشهر من عبادك أزواجا تقرّ أعيننا بهم، وتقرّ أعينهم بنا**»[2]. وفي حديث آخر: «**إنّ الحور تنادي في شهر رمضان: هل من خاطب إلى الله فيزوّجه؟**».

مهور الحور طول التهجّد، وهو حاصل في رمضان أكثر من غيره.

يا قوم، ألا خاطب في هذا الشهر إلى الرحمن؟ ألا راغب فيما أعدّه الله للطائعين في الجنان؟ ألا طالب لما أخبر به من النّعيم المقيم، مع أنّه ليس الخبر كالعيان؟

من يرد ملك الجنان ... فليدع عنه التّواني
وليقم في ظلمة ال ... ليل إلى نور القران
وليصل صوما بصوم ... إنّ هذا العيش فاني
إنّما العيش جوار الله ... في دار الأمان

(١) قال في المجمع (٧/ ١٧٩).

(٢) أخرجه: الطبراني في «الأوسط» (٦٨٠٠) وقال في «المجمع» (٣/ ١٤٢).

الطبقة الثانية من الصائمين: من يصوم في الدنيا عمّا سوى الله، فيحفظ الرأس وما حوى، ويحفظ البطن وما وعى، ويذكر الموت والبلى، ويريد الآخرة فيترك زينة الدنيا. فهذا عيد فطره يوم لقاء ربّه وفرحه برؤيته.

أهل الخصوص من الصّوّم صومهم ... صون اللسان عن البهتان والكذب

والعارفون وأهل الأنس صومهم ... صون القلوب عن الأغيار والحجب

العارفون لا يسلّيهم عن رؤية مولاهم قصر، ولا يروّيهم دون مشاهدته نهر؛ هممهم أجلّ من ذلك.

كبرت همّة عبد ... طمعت في أن تراك

من يصم عن مفطرات ... فصيامي عن سواك

من صام عن شهواته في الدنيا، أدركها غدا في الجنّة. ومن صام عمّا سوى الله، فعيده يوم لقائه، ﴿مَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ اللهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللهِ لَآتٍ﴾ [العنكبوت:٥].

وقد صمت عن لذّات دهري ... ويوم لقاكم ذاك فطر صيامي

رئي بشر في المنام، فسئل عن حاله، فقال: علم قلّة رغبتي في الطعام فأباحني النظر إليه. وقيل لبعضهم: أين نطلبك في الآخرة؟ قال: في زمرة النّاظرين إلى الله، قيل له: كيف علمت ذلك؟ قال: بغضّي طرفي له عن كلّ محرّم، وباجتنابي فيه كلّ منكر ومأثم؛ وقد سألته أن يجعل جنّتي النّظر إليه.

يا حبيب القلوب من لي سواكا ... ارحم اليوم مذنبا قد أتاكا

ليس لي في الجنان مولاي رأي ... غير أنّي أريدها لأراكا

يا معشر التائبين، صوموا اليوم عن شهوات الهوى؛ لتدركوا عيد الفطر يوم اللّقاء، لا يطولن عليكم الأمد باستبطاء الأجل؛ فإن معظم نهار الصّيام قد ذهب، وعيد اللقاء قد اقترب.

إن يوما جامعا شملي بهم ... ذاك عيدي ليس لي عيد سواه[1]

(١) "لطائف المعارف" (ص ٢٨١ إلى ٢٨٥).

الدرس الثامن

(ما أطيب ريح خلوف فم الصائم عند الله)

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وعلى آله وأصحابه، ومن اقتفى أثرهم إلى يوم الدين، أما بعد:

قوله: «**ولخلوف فم الصّائم أطيب عند الله من ريح المسك**»، خلوف الفم: رائحة ما يتصاعد منه من الأبخرة؛ لخلوّ المعدة من الطعام بالصّيام.

وهي رائحة مستكرهة في مشام الناس في الدّنيا، لكنّها طيّبة عند الله حيث كانت ناشئة عن طاعته، وابتغاء مرضاته. كما أنّ دم الشهيد يجيء يوم القيامة يثعب دما، لونه لون الدّم، وريحه ريح المسك.

وفي طيب ريح خلوف فم الصّائم عند الله عز وجل معنيان:

أحدهما: أنّ الصّيام لما كان سرّا بين العبد وربّه في الدنيا، أظهره الله في الآخرة علانية للخلق؛ ليشتهر بذلك أهل الصّيام، ويعرفون بصيامهم بين الناس جزاء لإخفائهم صيامهم في الدّنيا. وروى أبو الشيخ الأصبهانيّ بإسناد فيه ضعف، عن أنس مرفوعا: «**يخرج الصّائمون من قبورهم يعرفون بريح أفواههم، أفواههم أطيب من ريح المسك**»[1].

قال مكحول: يروح أهل الجنّة برائحة، فيقولون: ربّنا، ما وجدنا ريحا منذ دخلنا الجنّة أطيب من هذه الريح. فيقال: هذه رائحة أفواه الصّوّام.

وقد تفوح رائحة الصيام في الدنيا وتستنشق قبل الآخرة!!

لما كان معاملة المخلصين بصيامهم لمولاهم سرّا بينه وبينهم، أظهر الله سرّهم لعباده فصار علانية، فصار هذا التجلّي والإظهار جزاء لذلك الصّون والإسرار.

في الحديث: «**ما أسرّ أحد سريرة إلاّ ألبسه الله رداءها علانية**»[2].

---

(١) انظر: كنز العمال (٢٣٦٤٤).

(٢) أخرجه: الطبراني في الأوسط (٧٩٠٦).

والمعنى الثاني: أنّ من عبد الله وأطاعه، طلب رضاه في الدنيا بعمل، فنشأ من عمله آثار مكروهة للنفوس في الدنيا، فإنّ تلك الآثار غير مكروهة عند الله، بل هي محبوبة له وطيّبة عنده؛ لكونها نشأت عن طاعته واتباع مرضاته.

فإخباره بذلك للعاملين في الدّنيا فيه تطييب لقلوبهم؛ لئلاّ يكره منهم ما وجد في الدنيا.

قال بعض السّلف: وعد الله موسى ثلاثين ليلة أن يكلّمه على رأسها؛ فصام ثلاثين يوما، ثم وجد من فيه خلوفا، فكره أن يناجي ربّه على تلك الحال، فأخذ سواكا فاستاك به، فلمّا أتى لموعد الله إيّاه، قال له: يا موسى، أما علمت أنّ خلوف فم الصّائم أطيب عندنا من ريح المسك، ارجع فصم عشرة أخرى.

خلوف أفواه الصائمين له أطيب من ريح المسك. عري المحرمين لزيارة بيته أجمل من لباس الحلل. نوح المذنبين على أنفسهم من خشيته أفضل من التسبيح. انكسار المخبتين لعظمته هو الجبر. ذلّ الخائفين من سطوته هو العزّ. تهتّك المحبّين في محبّته أحسن من السّتر. بذل النّفوس للقتل في سبيله هو الحياة. جوع الصّائمين لأجله هو الشّبع، عطشهم في طلب مرضاته هو الرّيّ. نصب المجتهدين في خدمته هو الرّاحة.

ذلّ الفـــتى في الحـــبّ مكرمـــة وخضـــوعه لحبيبـــه شـــرف[1]

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

—•———•(((❁)))•———•—

(١) "لطائف المعارف" (ص ٢٨٦ إلى ٢٨٩).

الدرس التاسع

(أسباب المغفرة في رمضان)

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وعلى آله وأصحابه، ومن اقتفى أثرهم إلى يوم الدين، أما بعد:

شهر رمضان تكثر فيه أسباب الغفران؛ فمن أسباب المغفرة فيه: صيامه، وقيامه، وقيام ليلة القدر فيه، ومنها: تفطير الصّوّام، والتخفيف عن المملوك، وهما مذكوران في حديث سلمان المرفوع. ومنها: الذكر. وفي حديث مرفوع: **«ذاكر الله في رمضان مغفور له»**(١).

ومنها: الاستغفار، والاستغفار طلب المغفرة. ودعاء الصّائم يستجاب في صيامه وعند فطره؛ ولهذا كان ابن عمر إذا أفطر يقول: اللهم، يا واسع المغفرة اغفر لي. وفي حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- المرفوع في فضل شهر رمضان: **«ويغفر فيه إلاّ لمن أبى»**، قالوا: يا أبا هريرة، ومن يأبى؟ قال: يأبى أن يستغفر الله.

ومنها: استغفار الملائكة للصّائمين حتى يفطروا، وقد تقدّم ذكره.

فلما كثرت أسباب المغفرة في رمضان كان الذي تفوته المغفرة فيه محروما غاية الحرمان.

في صحيح ابن حبّان عن أبي هريرة -رضي الله عنه-، أنّ النبي ﷺ صعد المنبر فقال: **«آمين، آمين، آمين. قيل: يا رسول الله، إنّك صعدت المنبر فقلت: آمين آمين آمين؟ قال: إنّ جبريل أتاني، فقال: من أدرك شهر رمضان فلم يغفر له فدخل النار، فأبعده الله، قل: آمين، فقلت: آمين. ومن أدرك أبويه أو أحدهما فلم يبرّهما، فمات، فدخل النار، فأبعده الله، قل: آمين، فقلت: آمين. ومن ذكرت عنده فلم يصلّ عليك، فمات، فدخل النار فأبعده الله، قل: آمين، فقلت: آمين»**(٢) وخرّجه الإمام أحمد، والترمذي، وابن حبّان أيضا من وجه آخر عن أبي هريرة مرفوعا بلفظ: **«رغم أنفه»**(٣).

---

(١) أخرجه: الطبراني في الأوسط (٦١٧٠).

(٢) أخرجه: ابن حبان (٩٠٧).

(٣) أخرجه: أحمد (٢/ ٢٥٤)، والترمذي (٣٥٤٥)، وابن حبان (٩٠٨).

وحسّنه الترمذيّ. وقال سعيد عن قتادة: كان يقال: من لم يغفر له في رمضان فلن يغفر له فيما سواه. وفي حديث آخر: «**إذا لم يغفر له في رمضان فمتى يغفر لمن لا يغفر له في هذا الشهر؟**»

متى يقبل من ردّ في ليلة القدر؟ متى يصلح من لا يصلح في رمضان؟ متى يصح من كان به فيه من داء الجهالة والغفلة مرضان؟ كلّ ما لا يثمر من الأشجار في أوان الثمار؛ فإنّه يقطع ثمّ يوقد في النار. من فرّط في الزّرع في وقت البذار، لم يحصد يوم الحصاد غير النّدم والخسار.

والشهر كلّه شهر رحمة ومغفرة وعتق، ولهذا في الحديث الصحيح: «**أنّه تفتح فيه أبواب الرّحمة**».

وفي الترمذي وغيره: «**إنّ لله عتقاء من النّار، وذلك كلّ ليلة**»[1] ولكنّ الأغلب على أوّله الرحمة، وهي للمحسنين المتقين. قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[الأعراف:٥٦]. وقال الله تعالى: ﴿**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ**﴾[الأعراف:١٥٦]. فيفاض على المتّقين في أوّل الشّهر خلع الرّحمة والرّضوان، ويعامل أهل الإحسان بالفضل والإحسان.

وأمّا أوسط الشهر، فالأغلب عليه المغفرة، فيغفر فيه للصّائمين وإن ارتكبوا بعض الذنوب الصغائر فلا يمنعهم ذلك من المغفرة، كما قال الله تعالى: ﴿**وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ**﴾[الرّعد:٦] [2].

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) أخرجه: الترمذي (٦٨٢)، وابن ماجه (١٦٤٣)، وابن خزيمة (١٨٨٣)، وابن حبان (٣٤٣٥).

(٢) "لطائف المعارف" (ص ٣٧٠ إلى ٣٧٣).

الدرس العاشر

(فضل الجود في رمضان)

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وعلى آله وأصحابه، ومن اقتفى أثرهم إلى يوم الدين، أما بعد:

في الصحيحين عن ابن عبّاس-رضي الله عنهما-، قال: "كان النّبيّ ﷺ أجود النّاس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن، وكان جبريل يلقاه كلّ ليلة فيدارسه القرآن؛ فلرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الرّيح المرسلة" (١) وخرّجه الإمام أحمد بزيادة في آخره، وهي: "لا يسأل عن شيء إلا أعطاه".

الجود هو سعة العطاء وكثرته، والله تعالى يوصف بالجود. وفي الترمذي من حديث سعد بن أبي وقّاص، عن النبيّ ﷺ: «**إنّ الله جواد يحبّ الجود، كريم يحبّ الكرم**»(٢).

وفيه أيضا: من حديث أبي ذرّ -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ، عن ربّه، قال: «**يا عبادي، لو أنّ أوّلكم وآخركم، وحيّكم وميّتكم** (٣)، **ورطبكم ويابسكم اجتمعوا في صعيد واحد، فسأل كلّ إنسان منكم، ما بلغت أمنيّته، فأعطيت كلّ سائل منكم، ما نقص ذلك من ملكي إلاّ كما لو أنّ أحدكم مرّ بالبحر، فغمس فيه إبرة ثم رفعها إليه؛ ذلك بأنّي جواد واجد ماجد، أفعل ما أريد، عطائي كلام، وعذابي كلام، إنّما أمري لشيء إذا أردت أن أقول له: كن فيكون**» (٤).

وفي الأثر المشهور عن فضيل بن عياض: إنّ الله تعالى يقول كلّ ليلة: أنا الجواد ومني الجود، أنا الكريم وميّ الكرم.

فالله عز وجل أجود الأجودين، وجوده يتضاعف في أوقات خاصّة، كشهر رمضان، وفيه أنزل قوله تعالى: ﴿**وَإِذا سَأَلَكَ عِبادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدّاعِ إِذا دَعانِ**﴾[البقرة:١٨٦].

---

(١) أخرجه: البخاري (٢٢٩، ٥/ ١٢٧) (٣٢٢٠)، ومسلم (٧/ ٧٣) (٢٣٠٨).

(٢) أخرجه: الترمذي (٢٧٩٩).

(٣) في أ: «وجنكم وإنسكم» مكان «وحيكم وميتكم».

(٤) أخرجه: الترمذي (٢٤٩٥)، وأحمد (٥/ ١٦٠).

وفي الحديث الذي خرّجه الترمذيّ وغيره «**أنّه ينادي فيه مناد: يا باغي الخير هلمّ، ويا باغي الشّرّ أقصر، ولله عتقاء من النّار، وذلك كلّ ليلة**»(١).

ولما كان الله عز وجل قد جبل نبيّه ﷺ على أكمل الأخلاق وأشرفها، كما في حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: «**إنّما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق**»(٢) وذكره مالك في الموطأ بلاغًا. فكان رسول الله ﷺ أجود الناس كلّهم.

وخرّج ابن عدي بإسناد فيه ضعف من حديث أنس مرفوعا: «**ألا أخبركم بالأجود الأجود؟ الله الأجود الأجود، وأنا أجود بني آدم، وأجودهم من بعدي رجل علم علما فنشر علمه، يبعث يوم القيامة أمّة وحده، ورجل جاد بنفسه في سبيل الله**»(٣). فدلّ هذا على أنّه ﷺ أجود بني آدم على الإطلاق، كما أنه أفضلهم وأعلمهم وأشجعهم وأكملهم في جميع الأوصاف الحميدة.

وكان جوده يجمع أنواع الجود، من بذل العلم والمال، وبذل نفسه لله تعالى في إظهار دينه وهداية عباده، وإيصال النفع إليهم بكلّ طريق؛ من إطعام جائعهم، ووعظ جاهلهم، وقضاء حوائجهم، وتحمّل أثقالهم.

ولم يزل ﷺ على هذه الخصال الحميدة منذ نشأ، ولهذا قالت له خديجة في أوّل مبعثه: "والله، لا يخزيك الله أبدا، إنّك لتصل الرّحم، وتقري الضّيف، وتحمل الكلّ، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحقّ".

ثم تزايدت هذه الخصال فيه بعد البعثة وتضاعفت أضعافا كثيرة.

وكان جوده ﷺ كلّه لله -عز وجل- وفي ابتغاء مرضاته، فإنّه كان يبذل المال: إمّا لفقير، أو محتاج، أو ينفقه في سبيل الله، أو يتألّف به على الإسلام من يقوى الإسلام بإسلامه.

وكان يؤثر على نفسه وأهله وأولاده، فيعطي عطاء يعجز عنه الملوك مثل كسرى وقيصر، ويعيش في نفسه عيش الفقراء، فيأتي عليه الشهر والشهران لا يوقد في بيته نار(٤)، وربما ربط على بطنه الحجر من

(١) أخرجه: الترمذي (٦٨٢)، والنسائي (٤/ ١٣٠).
(٢) أخرجه: مالك (ص ٥٦٤)، والبيهقي (١٠/ ١٩١)، وأحمد (٢/ ٣٨١).
(٣) أخرجه: ابن عدي (٢/ ٢٠).
(٤) أخرجه: الحاكم (٤/ ١٠٥).

الجوع. وكان قد أتاه ﷺ سبي مرّة، فشكت إليه فاطمة ما تلقى من خدمة البيت، وطلبت منه خادما يكفيها مئونة بيتها، فأمرها أن تستعين بالتسبيح والتكبير والتحميد عند نومها، وقال: **«لا أعطيك وأدع أهل الصّفّة تطوى بطونهم من الجوع»**(١).

وكان جوده ﷺ يتضاعف في شهر رمضان على غيره من الشهور، كما أنّ جود ربّه يتضاعف فيه أيضا، فإنّ الله جبله على ما يحبّه من الأخلاق الكريمة، وكان على ذلك من قبل البعثة.

ذكر ابن إسحاق عن وهب بن كيسان، عن عبيد بن عمير، قال: كان رسول الله ﷺ يجاور في حراء من كلّ سنة شهرا، يطعم من جاءه من المساكين، حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله به ما أراد من كرامته، من السّنة التي بعثه فيها، وذلك الشهر شهر رمضان، خرج إلى حراء كما كان يخرج لجواره معه أهله، حتّى إذا كانت اللّيلة التي أكرمه الله تعالى برسالته، ورحم العباد بها، جاءه جبريل من الله عز وجل(٢).

ثم كان بعد الرسالة جوده في رمضان أضعاف ما كان قبل ذلك؛ فإنه كان يلتقي هو وجبريل عليه السلام، وهو أفضل الملائكة وأكرمهم، ويدارسه الكتاب الذي جاء به إليه(٣)، وهو أشرف الكتب وأفضلها، وهو يحثّ على الإحسان ومكارم الأخلاق.

وقد كان رسول الله ﷺ هذا الكتاب له خلقا بحيث يرضى لرضاه، ويسخط لسخطه، ويسارع إلى ما حثّ عليه، ويمتنع ممّا زجر عنه؛ فلهذا كان يتضاعف جوده وإفضاله في هذا الشهر؛ لقرب عهده بمخالطة جبريل عليه السلام، وكثرة مدارسته له هذا الكتاب الكريم، الذي يحثّ على المكارم والجود. ولا شكّ أنّ المخالطة تؤثّر وتورث أخلاقا من المخالط(٤).

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

—•———•(((❁)))•———•—

(١) أخرجه: البخاري (٣١١٣) (٤/ ١٠٢)، ومسلم (٨/ ٨٤) (٢٧٢٧)، وأحمد (١/ ١٠٦).

(٢) أخرجه: ابن هشام في «السيرة النبوية» (١/ ٢٣٦).

(٣) الحديث عند البخاري (٦) (١/ ٤)، ومسلم (٢٣٠٨) (٧/ ٧٣).

(٤) "لطائف المعارف" (ص ٢٩١إلى ٢٩٦).

الدرس الحادي عشر

(فوائد تضاعف جود الرسول صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان)

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وعلى آله وأصحابه، ومن اقتفى أثرهم إلى يوم الدين، أما بعد:

وفي تضاعف جوده ﷺ في شهر رمضان بخصوصه فوائد كثيرة:

منها: شرف الزمان، ومضاعفة أجر العمل فيه. وفي الترمذي عن أنس مرفوعًا: «**أفضل الصّدقة صدقة في رمضان**»(١).

ومنها: إعانة الصّائمين والقائمين والذّاكرين على طاعاتهم، فيستوجب المعين لهم مثل أجرهم، كما أنّ من جهّز غازيًا فقد غزا، ومن خلفه في أهله فقد غزا(٢).

وفي حديث زيد بن خالد عن النبي ﷺ، قال: «**من فطّر صائما فله مثل أجره، من غير أن ينقص من أجر الصّائم شيء**»(٣) خرّجه الإمام أحمد، والنسائيّ، والترمذي، وابن ماجه. وخرّجه الطبراني من حديث عائشة، وزاد: «**وما عمل الصائم من أعمال البرّ إلاّ كان لصاحب الطّعام ما دام قوة الطعام فيه**»(٤).

ومنها: أنّ شهر رمضان شهر يجود الله فيه على عباده بالرّحمة والمغفرة والعتق من النار، لا سيما في ليلة القدر. والله تعالى يرحم من عباده الرّحماء، كما قال ﷺ: «**إنّما يرحم الله من عباده الرّحماء**»(٥) فمن جاد على عباد الله جاد الله عليه بالعطاء والفضل؛ والجزاء من جنس العمل.

---

(١) أخرجه: الترمذي (٦٦٣).

(٢) أخرجه: البخاري (٤/ ٣٢) (٢٨٤٣)، ومسلم (٦/ ٤١) (١٨٩٥).

(٣) أخرجه: الترمذي (٨٠٧)، والنسائي في الكبرى (٣٣٣٠)، وابن ماجه (١٧٤٦)، وأحمد (٤/ ١١٤)، وابن حبان (٣٤٢٩).

(٤) أخرجه: الطبراني في الأوسط (٧١٣٦).

(٥) أخرجه: البخاري (٩/ ١٦٤) (١٢٨٤) (٥٦٥٥)، ومسلم (٣/ ٣٩) (٩٢٣).

ومنها: أنّ الجمع بين الصّيام والصّدقة من موجبات الجنّة، كما في حديث عليّ، عن النبي ﷺ، قال: «**إنّ في الجنّة غرفا يرى ظهورها من بطونها، وبطونها من ظهورها**». قالوا: لمن هي يا رسول الله؟ قال: «**لمن طيّب الكلام، وأطعم الطّعام، وأدام الصّيام، وصلّى بالليل والنّاس نيام**»(١).

وهذه الخصال كلّها تكون في رمضان، فيجتمع فيه للمؤمن الصّيام، والقيام؛ والصّدقة، وطيب الكلام؛ فإنّه ينهى فيه الصّائم عن اللّغو والرّفث.

والصّيام والصّلاة والصّدقة توصل صاحبها إلى الله عز وجل، قال بعض السّلف: الصّلاة توصل صاحبها إلى نصف الطريق، والصّيام يوصله إلى باب الملك، والصّدقة تأخذ بيده فتدخله على الملك.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة -رضي الله عنه-، عن النبي ﷺ، أنه قال: «**من أصبح منكم اليوم صائما؟ قال أبو بكر: أنا، قال: من تبع منكم اليوم جنازة؟ قال أبو بكر: أنا. قال: من تصدّق اليوم بصدقة؟ قال أبو بكر: أنا. قال: فمن عاد منكم مريضا؟ قال أبو بكر: أنا. قال: ما اجتمعن في امرئ إلاّ دخل الجنّة**»(٢).

ومنها: أنّ الجمع بين الصّيام والصّدقة أبلغ في تكفير الخطايا واتقاء جهنّم والمباعدة عنها، خصوصا إن ضمّ إلى ذلك قيام الليل. فقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «**الصّيام جنّة**»(٣). وفي رواية: «**جنّة أحدكم من النّار كجنّته من القتال**»(٤) وفي حديث معاذ عن النبيّ ﷺ، قال: «**الصّدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النّار. وقيام الرّجل من جوف الليل**»(٥) يعني أنه يطفئ الخطيئة أيضا. وقد صرّح بذلك في رواية للإمام أحمد. وفي الحديث الصحيح عنه ﷺ أنّه قال: «**اتّقوا النّار ولو بشقّ تمرة**»(٦) كان أبو الدّرداء يقول: صلوا في ظلمة الليل ركعتين لظلمة القبور، صوموا يوما شديدا حرّه لحرّ يوم النشور، تصدّقوا بصدقة لشرّ يوم عسير.

---

(١) أخرجه: الترمذي (١٩٨٤)، وعبد الله بن أحمد في «زوائد المسند» (١/ ١٥٥).

(٢) أخرجه: مسلم (٣/ ٩٢) (١٠٢٨).

(٣) أخرجه: البخاري (٣/ ٣١) (١٨٩٤)، ومسلم (٣/ ١٥٧) (١١٥١).

(٤) أخرجه: النسائي (٤/ ١٦٧)، وابن ماجه (١٦٣٩)، وأحمد (٤/ ٢٢)، وابن خزيمة (١٨٩١).

(٥) أخرجه: الترمذي (٢٦١٦)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٣٩٤)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، وأحمد (٥/ ٢٣١).

(٦) أخرجه: البخاري (٢/ ١٣٦) (١٤١٧)، ومسلم (٣/ ٨٦) (١٠١٦).

ومنها: أنّ الصّيام لا بدّ أن يقع فيه خلل ونقص؛ وتكفير الصّيام للذنوب مشروط بالتحفّظ مما ينبغي التحفظ منه؛ كما ورد ذلك في حديث خرّجه ابن حبّان في صحيحه[1] .

وعامّة صيام النّاس لا يجتمع في صومه التحفّظ كما ينبغي، ولهذا نهي أن يقول الرجل: صمت رمضان كلّه، أو قمته كلّه. فالصّدقة تجبر ما فيه من النّقص والخلل، ولهذا وجب في آخر شهر رمضان زكاة الفطر طهرة للصّائم من اللغو والرّفث.

والصّيام والصّدقة لهما مدخل في كفّارات الأيمان، ومحظورات الإحرام، وكفّارة الوطء في رمضان. ولهذا كان الله تعالى قد خيّر المسلمين في ابتداء الأمر بين الصّيام وإطعام المسكين، ثم نسخ ذلك، وبقي الإطعام لمن يعجز عن الصّيام؛ لكبره. ومن أخّر قضاء رمضان حتى أدركه رمضان آخر، فإنّه يقضيه ويضمّ إليه إطعام مسكين لكل يوم، تقوية له عند أكثر العلماء، كما أفتى به الصّحابة. وكذلك من أفطر لأجل غيره، كالحامل والمرضع؛ على قول طائفة من العلماء.

ومنها: أنّ الصّائم يدع طعامه وشرابه لله، فإذا أعان الصّائمين على التقوّي على طعامهم وشرابهم كان بمنزلة من ترك شهوة لله، وآثر بها، أو واسى منها.

ولهذا يشرع له تفطير الصّوّام معه إذا أفطر؛ لأنّ الطّعام يكون محبوبا له حينئذ، فيواسي منه، حتى يكون ممن أطعم الطّعام على حبّه، ويكون في ذلك شكر لله على نعمة إباحة الطّعام والشّراب له، وردّه عليه بعد منعه إيّاه؛ فإنّ هذه النعمة إنما عرف قدرها عند المنع منها.

وسئل بعض السّلف: لم شرع الصّيام؟ قال: ليذوق الغنيّ طعم الجوع فلا ينسى الجائع. وهذا من بعض حكم الصوم وفوائده. وقد ذكرنا فيما تقدّم حديث سلمان، وفيه: «**وهو شهر المواساة**» [2] فمن لم يقدر فيه على درجة الإيثار على نفسه فلا يعجز عن درجة أهل المواساة.

كان كثير من السّلف يواسون من إفطارهم أو يؤثرون به ويطوون[3] وكان ابن عمر يصوم، ولا يفطر إلاّ مع المساكين، فإذا منعه أهله عنهم لم يتعشّ تلك الليلة. وكان إذا جاءه سائل وهو على طعامه،

(١) أخرجه: ابن حبان (٣٤٣٩).

(٢) أخرجه: ابن خزيمة (١٨٨٧).

(٣) الطّوى: الجوع.

أخذ نصيبه من الطعام وقام، فأعطاه السائل، فيرجع وقد أكل أهله ما بقي في الجفنة، فيصبح صائما ولم يأكل شيئًا[1].

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) "لطائف المعارف" (ص ٢٩٧ إلى ٣٠١).

الدرس الثاني عشر

(فضائل تلاوة القرآن في رمضان)

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وعلى آله وأصحابه، ومن اقتفى أثرهم إلى يوم الدين، أما بعد:

ودلّ الحديث أيضًا -أي وكان جبريل يلقاه كل ليلة فيُدارسه القرآن- على استحباب دراسة القرآن في رمضان، والاجتماع على ذلك، وعرض القرآن على من هو أحفظ له. وفيه دليل على استحباب الإكثار من تلاوة القرآن في شهر رمضان.

وفي حديث فاطمة -رضي الله عنها- عن أبيها ﷺ: "أنّه أخبرها: أنّ جبريل كان يعارضه القرآن كلّ عام مرّة، وأنّه عارضه في عام وفاته مرّتين" وفي حديث ابن عباس: "أنّ المدارسة بينه وبين جبريل عليه السلام كانت ليلًا" (١) فدلّ على استحباب الإكثار من التّلاوة في رمضان ليلا؛ فإن الليل تنقطع فيه الشواغل، وتجتمع فيه الهمم، ويتواطأ فيه القلب واللسان على التدبّر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾[المزمّل:٦].

وشهر رمضان له خصوصية بالقرآن، كما قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة:١٨٥]. وقد قال ابن عباس -رضي الله عنه-: إنّه أنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزّة في ليلة القدر. ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[القدر:١]، وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾[الدّخان:٣].

وقد سبق عن عبيد بن عمير أنّ النبيّ ﷺ بدئ بالوحي ونزول القرآن عليه في شهر رمضان. وفي المسند عن واثلة بن الأسقع، عن النبي ﷺ أنّه قال: «**نزلت صحف إبراهيم في أوّل ليلة من شهر رمضان، وأنزلت التّوراة لستّ مضين من رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان**» (٢).

---

(١) أخرجه: البخاري (٦) (١/ ٤)، ومسلم (٧/ ٧٣) (٢٣٠٨).

(٢) أخرجه: أحمد (٤/ ١٠٧).

وقد كان النبي ﷺ يطيل القراءة في قيام رمضان بالليل أكثر من غيره، وقد صلّى معه حذيفة ليلة في رمضان، قال: فقرأ بالبقرة، ثم النّساء، ثم آل عمران، لا يمرّ بآية تخويف إلاّ وقف وسأل. قال: فما صلّى الرّكعتين حتى جاءه بلال فآذنه بالصّلاة[1] خرّجه الإمام أحمد، وخرّجه النسائي.

وكان عمر قد أمر أبيّ بن كعب وتميمًا الداريّ أن يقوما بالنّاس في شهر رمضان، فكان القارئ يقرأ بالمائتين في ركعة، حتى كانوا يعتمدون على العصيّ من طول القيام، وما كانوا ينصرفون إلا عند الفجر. وفي رواية: أنّهم كانوا يربطون الحبال بين السّواري، ثم يتعلّقون بها. وروي أنّ عمر جمع ثلاثة قرّاء، فأمر أسرعهم قراءة أن يقرأ بالنّاس ثلاثين، وأوسطهم بخمس وعشرين، وأبطأهم بعشرين.

ثم كان في زمن التابعين يقرءون بالبقرة في قيام رمضان في ثمان ركعات، فإن قرأ بها في اثنتي عشرة ركعة رأوا أنّه قد خفّف[2].

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

—•———•(((❁)))•———•—

(١) أخرجه: أحمد (٥/ ٤٠٠)، والنسائي (٣/ ٢٢٦).

(٢) "لطائف المعارف" (ص ٣٠٢ – ٣٠٣).

الدرس الثالث عشر

(حال السلف مع تلاوة القرآن في رمضان)

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وعلى آله وأصحابه، ومن اقتفى أثرهم إلى يوم الدين، أما بعد:

وقال بعض السّلف: من قام نصف الليل فقد قام اللّيل.

وفي سنن أبي داود، عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ، قال: «**من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين**»[1] يعني أنه يكتب له قنطار من الأجر.

وعن ابن مسعود، قال: «**من قرأ في ليلة خمسين آية لم يكتب من الغافلين، ومن قرأ مائة آية كتب من القانتين، ومن قرأ ثلاثمائة آية كتب له قنطار**»[2].

ومن أراد أن يزيد في القراءة ويطيل، وكان يصلّي لنفسه فليطوّل ما شاء، كما قاله النبي ﷺ. وكذلك من صلى بجماعة يرضون بصلاته.

وكان بعض السّلف يختم في قيام رمضان في كلّ ثلاث ليال، وبعضهم في كلّ سبع؛ منهم قتادة. وبعضهم في كلّ عشر؛ منهم أبو رجاء العطارديّ. وكان السّلف يتلون القرآن في شهر رمضان في الصلاة وغيرها؛ كان الأسود يقرأ القرآن في كلّ ليلتين في رمضان، وكان النّخعيّ يفعل ذلك في العشر الأواخر منه خاصّة، وفي بقيّة الشّهر في ثلاث. وكان قتادة يختم في كلّ سبع دائما، وفي رمضان في كلّ ثلاث، وفي العشر الأواخر كلّ ليلة. وكان للشافعي في رمضان ستون ختمة يقرؤها في غير الصّلاة. وعن أبي حنيفة نحوه. وكان قتادة يدرس القرآن في شهر رمضان. وكان الزّهريّ إذا دخل رمضان قال: فإنما هو تلاوة القرآن، وإطعام الطعام.

---

(١) أخرجه: أبو داود (١٣٩٨)، وابن خزيمة (١١٤٤)، وابن حبان (٢٥٧٢).

(٢) أخرجه: الدارمي (٢/ ٤٦٣) مختصرًا، وابن أبي شيبة (٦/ ١٣٤).

قال ابن عبد الحكم: كان مالك إذا دخل رمضان نفر من قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم، وأقبل على تلاوة القرآن من المصحف. وقال عبد الرزاق: كان سفيان الثوري إذا دخل رمضان ترك جميع العبادة وأقبل على تلاوة القرآن.

وكانت عائشة -رضي الله عنها- تقرأ في المصحف أوّل النهار في شهر رمضان، فإذا طلعت الشمس نامت. وقال سفيان: كان زبيد الياميّ إذا حضر رمضان أحضر المصاحف، وجمع إليه أصحابه.

وإنما ورد النّهي عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث على المداومة على ذلك. فأمّا في الأوقات المفضّلة، كشهر رمضان، خصوصا الليالي التي يطلب فيها ليلة القدر، أو في الأماكن المفضلة، كمكّة، لمن دخلها من غير أهلها، فيستحبّ الإكثار فيها من تلاوة القرآن، اغتنامًا للزمان والمكان. وهذا قول أحمد وإسحاق وغيرهما من الأئمة، وعليه يدلّ عمل غيرهم، كما سبق ذكره[1].

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

—•———•(((❁)))•———•—

(١) "لطائف المعارف" (ص ٣٠٤ إلى ٣٠٦).

الدرس الرابع عشر

(جهاد المؤمن لنفسه في شهر رمضان)

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وعلى آله وأصحابه، ومن اقتفى أثرهم إلى يوم الدين، أما بعد:

واعلم أنّ المؤمن يجتمع له في شهر رمضان جهادان لنفسه؛ جهاد بالنهار على الصّيام، وجهاد بالليل على القيام. فمن جمع بين هذين الجهادين، ووفّى بحقوقهما، وصبر عليهما، وفّي أجره بغير حساب. قال كعب: ينادي يوم القيامة مناد: إنّ كلّ حارث يعطى بحرثه ويزاد غير أهل القرآن والصّيام، يعطون أجورهم بغير حساب.

ويشفعان له أيضا عند الله عز وجل، كما في المسند عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ، قال: **«الصّيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة؛ يقول الصّيام: أي ربّ، منعته الطّعام والشهوات بالنّهار. ويقول القرآن: منعته النّوم باللّيل فشفّعني فيه، فيشفعّان»**(١).

فالصيام يشفع لمن منعه الطعام والشهوات المحرّمة كلّها، سواء كان تحريمها يختصّ بالصّيام، كشهوة الطعام، والشّراب، والنّكاح، ومقدماتها، أولا يختص به، كشهوة فضول الكلام المحرّم، والنظر المحرّم، والسّماع المحرّم، والكسب المحرّم؛ فإذا منعه الصّيام من هذه المحرّمات كلّها، فإنه يشفع له عند الله يوم القيامة، ويقول: يا ربّ، منعته شهواته، فشفّعني فيه.

فهذا لمن حفظ صيامه، ومنعه من شهواته.

فأمّا من ضيّع صيامه ولم يمنعه ممّا حرّمه الله عليه، فإنّه جدير أن يضرب به وجه صاحبه؛ ويقول له: ضيّعك الله كما ضيعتني. كما ورد مثل ذلك في الصّلاة. قال بعض السّلف: إذا احتضر المؤمن، يقال للملك: شمّ رأسه.

قال: أجد في رأسه القرآن. فيقال: شمّ قلبه. فيقول: أجد في قلبه الصّيام، فيقال: شمّ قدميه، فيقول: أجد في قدميه القيام. فيقال: حفظ نفسه حفظه الله عز وجل.

---

(١) أخرجه: أحمد (٢/ ١٧٤)، والحاكم (١/ ٥٥٤).

وكذلك القرآن إنما يشفع لمن منعه من النوم بالليل، فإن من قرأ القرآن وقام به، فقد قام بحقّه فيشفع له. وقد ذكر النبي ﷺ رجلًا، فقال: **«ذاك لا يتوسّد القرآن»**[1] يعني لا ينام عليه فيصير له كالوسادة.

وخرّج الإمام أحمد من حديث بريدة مرفوعًا: **«إنّ القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشقّ عنه قبره، كالرّجل الشاحب، فيقول: هل تعرفني؟ أنا صاحبك الذي أظمأتك في الهواجر، وأسهرت ليلك، وكلّ تاجر من وراء تجارته؛ فيعطى الملك بيمينه، والخلد بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ثم يقال له: اقرأ واصعد في درج الجنّة وغرفها، فهو في صعود ما دام يقرأ؛ هذّا كان أو ترتيلًا»**[2].

وفي حديث عبادة بن الصّامت الطويل: **«إن القرآن يأتي صاحبه في القبر، فيقول له: أنا الذي كنت أسهر ليلك، وأظمئ نهارك، وأمنعك شهواتك، وسمعك وبصرك؛ فستجدني من الأخلاّء خليل صدق. ثم يصعد فيسأل له فراشًا ودثارًا، فيؤمر له بفراش من الجنّة، وقنديل من الجنّة، وياسمين من الجنّة، ثم يدفع القرآن في قبلة القبر، فيوسع عليه ما شاء الله من ذلك»**[3].

قال ابن مسعود: ينبغي لقارئ القرآن أن يعرف بليله إذا الناس ينامون، وبنهاره إذا الناس يفطرون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبورعه إذا الناس يخلطون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يختالون، وبحزنه إذا الناس يفرحون.

قال محمد بن كعب: كنّا نعرف قارئ القرآن بصفرة لونه. يشير إلى سهره وطول تهجّده[4].

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) أخرجه: أحمد (٣/ ٤٤٩)، والنسائي (٣/ ٢٥٦ - ٢٥٧).

(٢) أخرجه: أحمد (٥/ ٣٤٨).

(٣) أخرجه: الحارث (٧٢٩ -زوائد الهيثمي).

(٤) "لطائف المعارف" (ص ٣٠٦ إلى ٣٠٨).

الدرس الخامس عشر

(انتصاف شهر رمضان)

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وعلى آله وأصحابه، ومن اقتفى أثرهم إلى يوم الدين، أما بعد:

عباد الله: شهر رمضان قد انتصف، فمن منكم حاسب فيه نفسه لله وانتصف؟ من منكم قام في هذا الشهر بحقّه الذي عرف؟ من منكم عزم قبل غلق أبواب الجنّة أن يبني له فيها غرفا من فوقها غرف؟ ألا إنّ شهركم قد أخذ في النّقص، فزيدوا أنتم في العمل، فكأنكم به وقد انصرف. فكلّ شهر فعسى أن يكون منه خلف. وأمّا شهر رمضان فمن أين لكم منه خلف؟!

تنصّف الشّهر والهفاه وانهدما ... واختصّ بالفوز بالجنّات من خدما

وأصبح الغافل المسكين منكسرا ... مثلي فيا ويحه يا عظم ما حرما

من فاته الزّرع في وقت البذار فما ... تراه يحصد إلاّ الهمّ والنّدما

طوبى لمن كانت التّقوى بضاعته ... في شهره وبحبل الله معتصما

ابن آدم، لو عرفت قدر نفسك ما أهنتها بالمعاصي، أنت المختار من المخلوقات، ولك أعدّت الجنّة؛ إن اتقيت فهي أقطاع المتقين، والدنيا أقطاع إبليس؛ فهو فيها من المنظرين. فكيف رضيت لنفسك بالإعراض عن أقطاعك ومزاحمة إبليس على أقطاعه، وأن تكون غدا معه في النّار من جملة أتباعه؟ إنّما طردناه عن السّماء لأجلك حيث تكبّر عن السّجود لأبيك، وطلبنا قربك؛ لتكون من خاصتنا وحزبنا، فعاديتنا ووالیت عدوّنا، ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾[الكهف: ٥٠].

رعى الله من نهوى وإن كان ما رعى ... حفظنا له العهد القديم فضيّعا

وصاحبت قوما كنت أنهاك عنهم ... وحقّك ما أبقيت للصلح موضعا

أبشروا يا معاشر المسلمين، فهذه أبواب الجنّة الثمانية في هذا الشهر لأجلكم قد فتحت، ونسماتها على قلوب المؤمنين قد نفحت، وأبواب الجحيم كلّها لأجلكم مغلقة، وأقدام إبليس وذريّته من أجلكم موثقة.

ففي هذا الشهر يؤخذ من إبليس بالثأر، وتستخلص العصاة من أسره فما يبقى لهم عنده آثار. كانوا أفراخه، قد غذّاهم بالشهوات في أوكاره، فهجروا اليوم تلك الأوكار. نقضوا معاقل حصونه بمعاول التوبة والاستغفار. خرجوا من سجنه إلى حصن التّقوى والإيمان، فأمنوا من عذاب النار. قصموا ظهره بكلمة التوحيد؛ فهو يشكو ألم الانكسار. في كلّ موسم من مواسم الفضل يحزن؛ ففي هذا الشّهر يدعو بالويل؛ لما يرى من تنزّل الرّحمة ومغفرة الأوزار. غلب حزب الرّحمن، وهرب حزب الشّيطان؛ فما بقي له سلطان، إلاّ على الكفّار. عزل سلطان الهوى، وصارت الدولة لسلطان التّقوى؛ ﴿فَاعْتَبِرُوا يا أُولِي الْأَبْصارِ﴾[الحشر:٢] (١).

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) "لطائف المعارف" (ص ٣٢٥ إلى ٣٢٧).

الدرس السادس عشر

(من ألطاف الله في شهر رمضان)

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وعلى آله وأصحابه، ومن اقتفى أثرهم إلى يوم الدين، أما بعد:

وفي شهر رمضان يلطف الله بأمّة محمد ﷺ فيغلّ فيه الشياطين ومردة الجنّ حتّى لا يقدروا على ما كانوا يقدرون عليه في غيره من تسويل الذنوب.

ولهذا تقلّ المعاصي في شهر رمضان في الأمّة لذلك. ففي الصحيحين عن أبي هريرة –رضي الله عنه– عن النبي ﷺ، قال: **«إذا دخل رمضان فتّحت أبواب السّماء، وغلّقت أبواب جهنّم، وسلسلت الشّياطين»**[1] ولمسلم: **«فتّحت أبواب الرّحمة»**. وله أيضًا عن أبي هريرة –رضي الله عنه– ، عن النبي ﷺ، قال: **«إذا جاء رمضان فتّحت أبواب الجنّة، وغلّقت أبواب النّار، وصفّدت الشياطين»**.

وخرّج منه البخاري ذكر فتح أبواب الجنّة.

وللترمذي وابن ماجه عنه، عن النبيّ ﷺ، قال: **«إذا كان أوّل ليلة من شهر رمضان صفّدت الشّياطين ومردة الجنّ، وغلّقت أبواب النّار، فلم يفتح منها باب؛ وفتحت أبواب الجنّة، فلم يغلق منها باب؛ وينادي مناد: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشرّ أقصر، ولله عتقاء من النّار، وذلك كلّ ليلة»**[2] وفي رواية للنسائي: **«وتغلّ فيه مردة الشياطين»**[3].

وللإمام أحمد عن أبي هريرة –رضي الله عنه– عن النبي ﷺ قال: **«أعطيت أمّتي في رمضان خمس خصال، لم تعطه أمّة قبلهم: خلوف فم الصّائم أطيب عند الله من ريح المسك، وتستغفر لهم الملائكة حتّى يفطروا، ويزيّن الله كلّ يوم جنّته، ثم يقول: يوشك عبادي الصّالحون أن يلقوا عنهم المؤنة والأذى ويصيروا إليك، وتصفّد فيه مردة الشّياطين، فلا يخلصون فيه إلى ما كانوا يخلصون**

---

(١) أخرجه: البخاري (٤/ ١٤٩، ٣/ ٣٢) (١٨٩٩)، ومسلم (٣/ ١٢١) (١٠٧٩)، وأحمد (٤٠١/ ٢، ٣٧٨، ٣٥٧، ٢٨١)، والنسائي (٤/ ١٢٦).

(٢) أخرجه: ابن ماجه (١٦٤٢)، والترمذي (٦٨٢).

(٣) أخرجه: النسائي (٤/ ١٢٩).

إليه في غيره، ويغفر لهم في آخر ليلة. قيل: يا رسول الله، أهي ليلة القدر؟ قال: لا، ولكنّ العامل إنّما يوفّى أجره إذا قضى عمله»(١).

وفي ليلة القدر تنتشر الملائكة في الأرض، فيبطل سلطان الشّياطين، كما قال الله تعالى: ﴿**تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ**﴾[القدر:٤-٥]. وفي المسند عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، أنه قال: «**الملائكة تلك الليلة في الأرض أكثر من عدد الحصى**»(٢).

وفي صحيح ابن حبّان، عن جابر-رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال في ليلة القدر: «**لا يخرج شيطانها حتّى يخرج فجرها**»(٣) وفي المسند من حديث عبادة بن الصّامت، عن النبيّ ﷺ، أنّه قال في ليلة القدر: «**لا يحلّ لكوكب أن يرمى به حتّى يصبح، وأن أمارتها أنّ الشّمس تخرج صبيحتها مستوية ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر، لا يحلّ للشّيطان أن يخرج معها يومئذ**»(٤).

وروي عن ابن عبّاس-رضي الله عنه- قال: إنّ الشيطان يطلع مع الشّمس كلّ يوم إلاّ ليلة القدر؛ وذلك أنّها تطلع لا شعاع لها.

وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿**سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ**﴾ [القدر:٥]، قال: سلام أن يحدث فيها داء أو يستطيع شيطان العمل فيها. وعنه قال: ليلة القدر ليلة سالمة لا يحدث فيها داء، ولا يرسل فيها شيطان. وعنه قال: هي سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءا، ولا يحدث فيها أذى.

وعن الضحّاك، عن ابن عباس، قال: في تلك الليلة تصفّد مردة الجنّ، وتغلّ عفاريت الجنّ، وتفتح فيها أبواب السّماء كلّها، ويقبل الله فيها التوبة لكلّ تائب؛ فلذلك قال: ﴿**سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ**﴾ [القدر:٥]. ويروى عن أبيّ بن كعب -رضي الله عنه-، قال: لا يستطيع الشّيطان أن يصيب فيها أحدا بخبل أو داء أو ضرب من ضروب الفساد، ولا ينفذ فيها سحر ساحر. ويروى بإسناد ضعيف عن أنس مرفوعًا: «**أنّه لا تسري نجومها، ولا تنبح كلابها**».

---

(١) أخرجه: أحمد (٢/ ٢٩٢)، والبزار (٩٦٣ -كشف).

(٢) أخرجه: أحمد (٢/ ٥١٩)، وابن خزيمة (٢١٩٤).

(٣) أخرجه: ابن حبان (٣٦٨٨).

(٤) أخرجه: أحمد (٥/ ٣٢٤).

وكلّ هذا يدلّ على كفّ الشّياطين فيها عن انتشارهم في الأرض، ومنعهم من استراق السّمع فيها من السّماء[1].

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

—•———•(((❁)))•———•—

(١) "لطائف المعارف" (ص ٣٢٣ إلى ٣٢٥).

الدرس السابع عشر

(غزوة بدر الكبرى)

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وعلى آله وأصحابه، ومن اقتفى أثرهم إلى يوم الدين، أما بعد:

والمشهور عند أهل السّير والمغازي: أنّ ليلة بدر كانت ليلة سبع عشرة، وكانت ليلة جمعة. وروي ذلك عن علي، وابن عباس وغيرهما. وعن ابن عباس، رواية ضعيفة أنّها كانت ليلة الاثنين.

وكان زيد بن ثابت لا يحيي ليلة من رمضان، كما يحيي ليلة سبع عشرة، ويقول: إنّ الله فرّق في صبيحتها بين الحقّ والباطل، وأذلّ في صبيحتها أئمة الكفر.

وعلت كلمة الله وتوحيده، وذلّ أعداؤه من المشركين وأهل الكتاب، وكان ذلك في السنة الثانية من الهجرة؛ فإنّ النبي ﷺ قدم المدينة في ربيع الأول في أوّل سنة من سني الهجرة، ولم يفرض رمضان في ذلك العام. ثم صام عاشوراء. وفرض عليه رمضان في ثاني سنة. فهو أوّل رمضان صامه وصامه المسلمون معه.

ثم خرج النبيّ ﷺ لطلب عير لقريش قدمت من الشام إلى المدينة في يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من رمضان، وأفطر ﷺ في خروجه إليها.

قال ابن المسيّب: قال عمر: غزونا مع رسول الله ﷺ غزوتين في رمضان يوم بدر، ويوم الفتح، وأفطرنا فيهما. وكان سبب خروجه حاجة أصحابه، خصوصا المهاجرين ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوانًا وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولئِكَ هُمُ الصّادِقُونَ﴾[الحشر:٨]. وكانت هذه العير فيها أموال كثيرة لأعدائهم الكفار الذين أخرجوهم من ديارهم وأموالهم ظلما وعدوانا، كما قال الله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ﴾ [الحج:٣٩-٤٠].

فقصد النّبيّ ﷺ أن يأخذ أموال هؤلاء الكفّار الظالمين المعتدين على أولياء الله وحزبه وجنده، فيردّها على أولياء الله وحزبه المظلومين المخرجين من ديارهم وأموالهم ليتقوّوا بها على عبادة الله وطاعته وجهاد أعدائه. وهذا ممّا أحلّه الله لهذه الأمّة؛ فإنّه أحلّ لهم الغنائم، ولم تحلّ لأحد قبلهم. وكان عدّة من معه

ثلاث مائة وبضعة عشر، وكانوا على عدّة أصحاب طالوت الذين جازوا معه النهر، وما جازه معه إلاّ مؤمن.

وفي سنن أبي داود من حديث عبد الله بن عمرو، قال: خرج رسول الله ﷺ يوم بدر في ثلاثمائة وخمسة عشر من المقاتلة، كما خرج طالوت، فدعا لهم رسول الله ﷺ حين خرجوا، فقال: «**اللهمّ، إنّهم حفاة فاحملهم، وإنّهم عراة فاكسهم، وإنّهم جياع فأشبعهم**». ففتح الله يوم بدر، فانقلبوا حين انقلبوا وما فيهم رجل إلاّ وقد رجع بجمل أو جملين، واكتسوا وشبعوا(١).

وكان أصحاب النبي ﷺ حين خرجوا على غاية من قلّة الظهر والزّاد؛ فإنّهم لم يخرجوا مستعدّين لحرب، ولا لقتال، إنما خرجوا لطلب العير، فكان معهم نحو سبعين بعيرا يعتقبونها بينهم، كلّ ثلاثة على بعير. وكان للنبي ﷺ زميلان، فكانوا يعتقبون على بعير واحد، فكان زميلاه يقولان له: يا رسول الله، اركب حتى نمشي عنك، فيقول: «**ما أنتما بأقوى على المشي منّي، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما**». ولم يكن معهما إلا فرسان، وقيل: ثلاثة، وقيل: فرس واحد للمقداد.

وبلغ المشركين خروج النبي ﷺ لطلب العير، فأخذ أبو سفيان بالعير نحو الساحل، وبعث إلى أهل مكّة يخبرهم الخبر، ويطلب منهم أن ينفروا لحماية عيرهم، فخرجوا مستصرخين، وخرج أشرافهم ورؤساؤهم، وساروا نحو بدر.

واستشار النبيّ ﷺ المسلمين في القتال، فتكلّم المهاجرون فسكت عنهم، وإنما كان قصده الأنصار؛ لأنّه ظنّ أنّهم لم يبايعوه إلاّ على نصرته على من قصده في ديارهم، فقام سعد بن عبادة، فقال: إيّانا تريد -يعني الأنصار- والذي نفسي بيده، لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا (٢) وقال له المقداد: لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى: ﴿**فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنّا هاهُنا قاعِدُونَ**﴾[المائدة:٢٤]، ولكن نقاتل عن يمينك وشمالك، وبين يديك، ومن خلفك.

(١) أخرجه: أبو داود (٢٧٤٧).

(٢) أخرجه: مسلم (٥/ ١٧٠) (١٧٧٩)، وأحمد (٣/ ٢٢٠).

فسرّ النبي ﷺ بذلك وأجمع على القتال [1] وبات تلك الليلة الجمعة سابع عشر رمضان قائمًا يصلّي ويبكي ويدعو الله ويستنصره على أعدائه.

وفي المسند عن علي بن أبي طالب، قال: "لقد رأيتنا وما فينا إلا نائم، إلاّ رسول الله ﷺ تحت شجرة يصلّي ويبكي حتى أصبح"[2].

وفيه عنه أيضا، قال: أصابنا طشّ من مطر -يعني ليلة بدر- فانطلقنا تحت الشّجر والحجف نستظلّ بها من المطر، وبات رسول الله ﷺ يدعو ربّه، ويقول: «**إن تهلك هذه الفئة لا تعبد**»، فلمّا أن طلع الفجر نادى: الصّلاة عباد الله، فجاء الناس من تحت الشّجر والحجف، فصلّى بنا رسول الله ﷺ، وحثّ على القتال[3].

وأمدّ الله تعالى نبيّه والمؤمنين بنصر من عنده وبجند من جنده، كما قال تعالى: ﴿**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ *وَما جَعَلَهُ اللهُ إِلاّ بُشْرى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاّ مِنْ عِنْدِ اللهِ**﴾ [الأنفال:٩-١٠].

وقتل الله صناديد كفّار قريش يومئذ؛ منهم عتبة بن ربيعة، وشيبة، والوليد بن عتبة، وأبو جهل، وغيرهم. وأسروا منهم سبعين.

وقصّة بدر يطول استقصاؤها، وهي مشهورة في التفسير وكتب الصحاح والسنن والمسانيد والمغازي والتواريخ وغيرها، وإنما المقصود هاهنا التنبيه على بعض مقاصدها[4].

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) أخرجه: البخاري (٥/ ٩٣) (٣٩٥٢).

(٢) أخرجه: أحمد (١/ ١٢٥)

(٣) أخرجه: أحمد (١/ ١١٧)

(٤) "لطائف المعارف" (ص ٣١٥ إلى ٣٢٠).

الدرس الثامن عشر

(احذر أن يكون خصمك القرآن أو الصيام)

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وعلى آله وأصحابه، ومن اقتفى أثرهم إلى يوم الدين، أما بعد:

فأمّا من كان معه القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل به بالنهار، فإنّه ينتصب القرآن خصما له، يطالبه بحقوقه التي ضيّعها. وخرّج الإمام أحمد من حديث سمرة: «**أنّ النبيّ ﷺ رأى في منامه رجلًا مستلقيًا على قفاه، ورجل قائم بيده فهر أو صخرة، فيشدخ به رأسه، فيتدهده الحجر، فإذا ذهب ليأخذه عاد رأسه كما كان، فيصنع به مثل ذلك، فسأل عنه، فقيل له: هذا رجل آتاه الله القرآن فنام عنه باللّيل، ولم يعمل به بالنّهار، فهو يفعل به ذلك إلى يوم القيامة**»(١).

وقد خرّجه البخاريّ بغير هذا اللفظ(٢).

وفي حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه، عن النّبيّ ﷺ: «**يمثّل القرآن يوم القيامة رجلا، فيؤتى بالرجل قد حمله فخالف أمره، فيتمثّل له خصما، فيقول: يا ربّ، حمّلته إياي؛ فبئس حامل تعدّى حدودي، وضيّع فرائضي، وركب معصيتي، وترك طاعتي. فما يزال يقذف عليه بالحجج حتى يقال: شأنك به، فيأخذه بيده، فما يرسله حتّى يكبّه على منخره في النار.**

ويؤتى بالرّجل الصّالح كان قد حمله وحفظ أمره، فيتمثّل خصما دونه، فيقول: يا ربّ، حمّلته إيّاي، فخير حامل؛ حفظ حدودي، وعمل بفرائضي، واجتنب معصيتي، واتّبع طاعتي، فلا يزال يقذف له بالحجج حتّى يقال: شأنك به، فيأخذه بيده، فما يرسله حتّى يلبسه حلّة الإستبرق، ويعقد عليه تاج الملك، ويسقيه كأس الخمر»(٣).

يا من ضيّع عمره في غير الطاعة، يا من فرّط في شهره، بل في دهره وأضاعه، يا من بضاعته التسويف والتفريط، وبئست البضاعة، يا من جعل خصمه القرآن وشهر رمضان، كيف ترجو ممّن جعلته خصمك الشّفاعة؟!

---

(١) أخرجه: أحمد (٥/ ١٤).

(٢) أخرجه: البخاري (١/ ١٢٥ -١٢٧) (١٣٨٦).

(٣) أخرجه: ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٠٠٤٤).

ويـل لمن شـــفعـاؤه خصـــمـاؤه والصّـــور في يوم القيـامـة ينفخ

ربّ صائم حظّه من صيامه الجوع والعطش، وقائم حظّه من قيامه السّهر.

كلّ قيام لا ينهى عن الفحشاء والمنكر لا يزيد صاحبه إلا بعدا، وكلّ صيام لا يصان عن قول الزّور والعمل به لا يورث صاحبه إلاّ مقتا وردّا.

يا قوم، أين آثار الصيام؟ أين أنوار القيام؟

إن كـنـت تـنـوح يا حمـام البـان للـبين فـأيـن شـــاهـد الأحـزان

أجـفـانـك لـلـدّمـوع أم أجـفـاني لا يـقـبـل مـدّع بـلا بـرهـان

هذا -عباد الله- شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن وفي بقيته للعابدين مستمتع، وهذا كتاب الله يتلى فيه بين أظهركم ويسمع، وهو القرآن الذي لو أنزل على جبل لرأيته خاشعا يتصدّع. ومع هذا فلا قلب يخشع، ولا عين تدمع، ولا صيام يصان عن الحرام فينفع! ولا قيام استقام فيرجى في صاحبه أن يشفع! قلوب خلت من التّقوى فهي خراب بلقع، وتراكمت عليها ظلمة الذّنوب فهي لا تبصر ولا تسمع.

كم تتلى علينا آيات القرآن وقلوبنا كالحجارة أو أشدّ قسوة. وكم يتوالى علينا شهر رمضان وحالنا فيه كحال أهل الشّقوة. لا الشّابّ منّا ينتهي عن الصّبوة، ولا الشيخ ينزجر عن القبيح فيلتحق بالصفوة.

أين نحن من قوم إذا سمعوا داعي الله أجابوا الدّعوة، وإذا تليت عليهم آيات الله جلت قلوبهم جلوة، وإذا صاموا صامت منهم الألسنة والأسماع والأبصار؟ أفما لنا فيهم أسوة؟! كم بيننا وبين حال أهل الصّفا أبعد مما بيننا وبين الصّفا والمروة. كلما حسنت منّا الأقوال ساءت الأعمال. فلا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم، وحسبنا الله[1].

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

—•———•(((❁)))•———•—

(١) "لطائف المعارف" (ص ٣٠٩ إلى ٣١١).

الدرس التاسع عشر

(فضل ليلة القدر وعظم أجرها)

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وعلى آله وأصحابه، ومن اقتفى أثرهم إلى يوم الدين، أما بعد:

يا ليلة القدر للعابدين اشهدي، يا أقدام القانتين اركعي لربّك واسجدي، يا ألسنة السّائلين جدّي في المسألة واجتهدي.

يا رجـــــال اللّيـــــل جـــــدّوا ... ربّ داع لا يـــــــــــــــــــــردّ

مـــــــا يقـــــــوم اللّيـــــــل إلاّ ... مـــــن لـــــه عـــــزم وجـــــدّ

ليلة القدر عند المحبّين ليلة الحظوة بأنس مولاهم وقربه، وإنما يفرّون من ليالي البعد والهجر.

يا من ضاع عمره في لا شيء، استدرك ما فاتك في ليلة القدر؛ فإنّها تحسب بالعمر.

وليلـــة وصـــل بات منجـــز وعـــده ... سمـــيري فيهـــا بعـــد طـــول مطـــال

شـــفيت بهـــا قلبـــا أطيـــل عليلـــه ... زمـــانًا فكانـــت ليلـــة بليـــالي

قال الله تعالى: ﴿إِنّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَما أَدْراكَ ما لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[القدر: ١-٣].

واختلف في ليلة القدر والحكمة في نزول الملائكة في هذه الليلة: إن الملوك والسادات لا يحبون أن يدخل دارهم أحد حتى يزينون دارهم بالفرش والبسط ويزينوا عبيدهم بالثياب والأسلحة فإذا كان ليلة القدر أمر الرب تبارك وتعالى الملائكة بالنزول إلى الأرض لأن العباد زينوا أنفسهم بالطاعات بالصوم والصلاة في ليالي رمضان ومساجدهم بالقناديل والمصابيح فيقول الرب تعالى: أنتم طعنتم في بني آدم وقلتم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾[البقرة: ٣٠] الآية فقلت لكم: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠] اذهبوا إليهم في هذه الليلة حتى تروهم قائمين ساجدين راكعين لتعلموا أني اخترتهم على علم على العالمين.

قال مالك: بلغني أنّ رسول الله ﷺ أري أعمار النّاس قبله، أو ما شاء الله من ذلك، فكأنّه تقاصر أعمار أمّته ألاّ يبلغوا من العمل الذي بلغ غيرهم في طول العمر، فأعطاه الله ليلة القدر خيرًا من ألف شهر(١) وروي عن مجاهد: أن النبي ﷺ ذكر رجلا من بني إسرائيل لبس السلاح ألف شهر فعجب المسلمون من ذلك فأنزل الله هذه السورة ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[القدر:٣] الذي لبس فيها ذلك الرجل في سبيل الله ألف شهر وقال النخعي: العمل فيها خير من العمل في ألف شهر.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «**من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه**» وفي المسند عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال: «**من قامها ابتغاءها ثم وقعت له غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر**» وفي المسند والنسائي عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ أنه قال في شهر رمضان: «**فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم**» قال جويبر: قلت للضحاك: أرأيت النفساء والحائض والمسافر والنائم لهم في ليلة القدر نصيب؟ قال: نعم كل من تقبل الله عمله سيعطيه نصيبه من ليلة القدر.

إخواني المعول على القبول لا على الاجتهاد والاعتبار ببر القلوب لا بعمل الأبدان رب قائم حظه من قيامه السهر كم من قائم محروم وكم من نائم مرحوم نام وقلبه ذاكر وهذا قام وقلبه فاجر.

إن المقـــــادير إذا ســـــاعدت ألحقـــــت النـــــائم بالقـــــائم

لكن العبد مأمور بالسعي في اكتساب الخيرات والاجتهاد في الأعمال.

الصالحات وكل ميسر لما خلق له أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى، وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾[الليل:٥-١٠] فالمبادرة إلى اغتنام العمل فيما بقي من الشهر فعسى أن يستدرك به ما فات من ضياع العمر(٢).

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) الموطأ (ص ٢١٣).

(٢) "لطائف المعارف" (ص ٣٣٩ إلى ٣٤٢).

الدرس العشرون

(أعمال ليلة القدر)

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وعلى آله وأصحابه، ومن اقتفى أثرهم إلى يوم الدين، أما بعد:

وأما العمل في ليلة القدر؛ فقد ثبت عن النبي ﷺ أنّه قال: «**من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدّم من ذنبه**». وقيامها إنّما هو إحياؤها بالتهجّد فيها والصّلاة، وقد أمر عائشة بالدّعاء فيها أيضا.

قال سفيان الثوريّ: الدّعاء في تلك الليلة أحبّ إليّ من الصّلاة. قال: وإذا كان يقرأ وهو يدعو ويرغب إلى الله في الدّعاء والمسألة لعله يوافق. انتهى.

ومراده أنّ كثرة الدّعاء أفضل من الصّلاة التي لا يكثر فيها الدّعاء، وإن قرأ ودعا كان حسنًا.

وقد كان النبي ﷺ يتهجّد في ليالي رمضان، ويقرأ قراءة مرتّلة، لا يمرّ بآية فيها رحمة إلا سأل، ولا بآية فيها عذاب إلاّ تعوّذ، فيجمع بين الصّلاة والقراءة والدّعاء والتفكّر. وهذا أفضل الأعمال وأكملها في ليالي العشر وغيرها، والله أعلم.

قالت عائشة -رضي الله عنه- للنبيّ ﷺ: أرأيت إن وافقت ليلة القدر، ما أقول فيها؟ قال: «**قولي: اللهم، إنّك عفوّ تحبّ العفو فاعف عنّي**»[1].

العفوّ من أسماء الله تعالى، وهو المتجاوز عن سيّئات عباده، الماحي لآثارها عنهم. وهو يحبّ العفو؛ فيحبّ أن يعفو عن عباده، ويحبّ من عباده أن يعفو بعضهم عن بعض؛ فإذا عفا بعضهم عن بعض عاملهم بعفوه، وعفوه أحبّ إليه من عقوبته.

وكان النبي ﷺ يقول: «**أعوذ برضاك من سخطك، وعفوك من عقوبتك**»[2] قال يحيى بن معاذ: لو لم يكن العفو أحبّ الأشياء إليه لم يبتل بالذّنب أكرم النّاس عليه. يشير إلى أنّه ابتلى كثيرا من أوليائه وأحبابه بشيء من الذنوب؛ ليعاملهم بالعفو؛ فإنه يحبّ العفو. قال بعض السّلف الصالح: لو علمت

---

(١) أخرجه: أحمد (١٨٢، ٦/ ١٧١)، والترمذي (٣٥١٣).

(٢) أخرجه: مسلم (٢/ ٥١) (٤٨٦)، وأبو داود (٨٧٩).

أحبّ الأعمال إلى الله تعالى لأجهدت نفسي فيه. فرأى قائلا يقول له في منامه: إنّك تريد ما لا يكون، إنّ الله يحبّ أن يعفو ويغفر؛ وإنما أحبّ أن يعفو؛ ليكون العباد كلّهم تحت عفوه، ولا يدلّ عليه أحد منهم بعمل.

وقد جاء في حديث ابن عبّاس مرفوعًا: **«إن الله ينظر ليلة القدر إلى المؤمنين من أمة محمّد ﷺ فيعفو عنهم ويرحمهم، إلا أربعة: مدمن خمر، وعاقّا، ومشاحنا، وقاطع رحم»**.

لما عرف العارفون جلاله خضعوا، ولما سمع المذنبون بعفوه طمعوا، ما ثم إلاّ عفو الله أو النار. لولا طمع المذنبين في العفو لاحترقت قلوبهم باليأس من الرّحمة، ولكن إذا ذكرت عفو الله استروحت إلى برد عفوه. كان بعض المتقدّمين يقول في دعائه: اللهم، إنّ ذنوبي قد عظمت فجلّت عن الصّفة، وإنها صغيرة في جنب عفوك؛ فاعف عنّي. وقال آخر منهم: جرمي عظيم، وعفوك كبير؛ فاجمع بين جرمي وعفوك يا كريم.

يا كبير الذّنب عفو الله ... من ذنبك أكبر

أكبر الأوزار في جنب ... عفو الله يصغر

وإنما أمر بسؤال العفو في ليلة القدر بعد الاجتهاد في الأعمال فيها وفي ليالي العشر؛ لأنّ العارفين يجتهدون في الأعمال، ثم لا يرون لأنفسهم عملا صالحا، ولا حالا، ولا مقالا، فيرجعون إلى سؤال العفو، كحال المذنب المقصّر. قال يحيى بن معاذ: ليس بعارف من لم يكن غاية أمله من الله العفو.

إن كنت لا أصلح للقرب ... فشأنكم عفو عن الذّنب

كان مطرّف يقول في دعائه: اللهم، ارض عنّا، فإن لم ترض عنّا فاعف عنّا. من عظمت ذنوبه في نفسه لم يطمع في الرّضا، وكان غاية أمله أن يطمع في العفو. ومن كملت معرفته لم ير نفسه إلاّ في هذه المنزلة[1].

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) "لطائف المعارف" (ص ٣٥٩ إلى ٣٦٣).

الدرس الحادي والعشرون

(هدي النبي ﷺ في العشر الأواخر من رمضان)

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وعلى آله وأصحابه، ومن اقتفى أثرهم إلى يوم الدين، أما بعد:

في الصحيحين [١] عن عائشة -رضي الله عنها-، قالت: "كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر شدّ مئزره، وأحيا ليله، وأيقظ أهله". هذا لفظ البخاري. ولفظ مسلم: "أحيا الليل، وأيقظ أهله، وجدّ، وشدّ المئزر". وفي رواية لمسلم عنها، قالت: "كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره"[٢].

كان النبي ﷺ يخصّ العشر الأواخر من رمضان بأعمال لا يعملها في بقية الشهر:

فمنها: إحياء الليل؛ فيحتمل أنّ المراد إحياء الليل كلّه.

وقد روي من حديث عائشة من وجه فيه ضعف بلفظ: "وأحيا الليل كلّه".

وفي المسند من وجه آخر عنها، قالت: كان النبي ﷺ يخلط العشرين بصلاة ونوم، فإذا كان العشر -يعني الأخير- شمّر وشدّ المئزر[٣].

وخرّج الحافظ أبو نعيم بإسناد فيه ضعف، عن أنس، قال: "كان النبي ﷺ إذا شهد رمضان قام ونام، فإذا كان أربعا وعشرين لم يذق غمضًا"[٤].

ويحتمل أن يريد بإحياء الليل إحياء غالبه.

ومنها: أنّ النبي ﷺ كان يوقظ أهله للصّلاة في ليالي العشر دون غيره من الليالي. وفي حديث أبي ذرّ أنّ النبي ﷺ لما قام بهم ليلة ثلاث وعشرين، وخمس وعشرين، وسبع وعشرين، ذكر أنّه دعا أهله ونساءه ليلة سبع وعشرين خاصّة. وهذا يدلّ على أنّه يتأكد إيقاظهم في آكد الأوتار التي ترجى فيها

(١) أخرجه: البخاري (٣/ ٦١) (٢٠٢٤)، ومسلم (٣/ ١٧٦) (١١٧٤).

(٢) أخرجه: مسلم (٣/ ١٧٦) (١١٧٥).

(٣) أخرجه: أحمد (٦/ ١٤٦).

(٤) أخرجه: أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٠٦).

ليلة القدر، وخرّج الطبراني من حديث علي أنّ النبي ﷺ كان يوقظ أهله في العشر الأواخر من رمضان وكلّ صغير وكبير يطيق الصلاة[1].

قال سفيان الثوري: أحبّ إليّ إذا دخل العشر الأواخر أن يتهجّد بالليل، ويجتهد فيه، وينهض أهله وولده إلى الصلاة إن أطاقوا ذلك. وقد صحّ عن النبي ﷺ أنه كان يطرق فاطمة وعليّا ليلا فيقول لهما: «ألا تقومان فتصلّيان»[2].

وكان يوقظ عائشة بالليل إذا قضى تهجّده وأراد أن يوتر. وورد الترغيب في إيقاظ أحد الزوجين صاحبه للصّلاة، ونضح الماء في وجهه. وفي الموطأ أن عمر بن الخطاب كان يصلّي من الليل ما شاء الله أن يصلّي، حتى إذا كان نصف الليل أيقظ أهله للصّلاة، يقول لهم: الصّلاة الصّلاة، ويتلو هذه الآية: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْها﴾ الآية [طه:١٣٢][3].

كانت امرأة حبيب أبي محمد تقول له بالليل: قد ذهب الليل وبين أيدينا طريق بعيد وزادنا قليل، وقوافل الصالحين قد سارت قدامنا، ونحن قد بقينا:

يا نائما بالّليل كم ترقد ... قم يا حبيبي قد دنا الموعد

وخذ من اللّيل وأوقاته ... وردا إذا ما هجع الرّقّد

من نام حتّى ينقضي ليله ... لم يبلغ المنزل أو يجهد

ومنها: أن النبيّ ﷺ كان يشدّ المئزر. واختلفوا في تفسيره؛ فمنهم من قال: هو كناية عن شدّة جدّه واجتهاده في العبادة، كما يقال: فلان يشدّ وسطه ويسعى في كذا. وهذا فيه نظر؛ فإنّها قالت: "جدّ وشدّ المئزر"، فعطفت "شدّ المئزر" على جدّه، والصحيح أنّ المراد اعتزاله للنساء، وبذلك فسّره السّلف والأئمة المتقدّمون؛ منهم سفيان الثوري. وقد ورد ذلك صريحًا من حديث عائشة وأنس، وورد تفسيره بأنّه لم يأو إلى فراشه حتّى ينسلخ رمضان.

---

(١) أخرجه: الترمذي (٧٩٥)، وأبو يعلى (٣٧٢) إلى قوله: «من رمضان». وأخرجه بتمامه الطبراني في الأوسط (٧٤٢٥).

(٢) أخرجه: البخاري (٢/ ٦٢) (١١٢٧) (٧٣٤٧)، ومسلم (٢/ ١٨٧) (٧٧٥)، وأحمد (١/ ٧٧)، والنسائي (٣/ ٢٠٥ - ٢٠٦).

(٣) أخرجه: مالك في الموطأ (ص ٩٤).

وفي حديث أنس: وطوى فراشه، واعتزل النساء[1].

وقد كان النبي ﷺ غالبا يعتكف العشر الأواخر، والمعتكف ممنوع من قربان النّساء بالنّصّ والإجماع، وقد قال طائفة من السّلف في تفسير قوله تعالى: ﴿فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا ما كَتَبَ اللهُ لَكُمْ﴾ [البقرة:١٨٧]: إنه طلب ليلة القدر.

والمعنى في ذلك أنّ الله تعالى لما أباح مباشرة النّساء في ليالي الصيام، إلى أن يتبيّن الخيط الأبيض من الخيط الأسود، أمر مع ذلك بطلب ليلة القدر؛ لئلاّ يشتغل المسلمون في طول ليالي الشهر بالاستمتاع المباح، فيفوتهم طلب ليلة القدر، فأمر مع ذلك بطلب ليلة القدر بالتهجّد من الليل، خصوصًا في الليالي المرجوّ فيها ليلة القدر، فمن هاهنا كان النبيّ ﷺ يصيب من أهله في العشرين من رمضان، ثم يعتزل نساءه ويتفرّغ لطلب ليلة القدر في العشر الأواخر[2].

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

—•———•(((❁)))•———•—

(١) سيأتي تخريجه قريبًا.

(٢) "لطائف المعارف" (ص ٣٢٨ إلى ٣٣٢).

الدرس الثاني والعشرون

(تتمة هدي النبي ﷺ في العشر الأواخر من رمضان)

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وعلى آله وأصحابه، ومن اقتفى أثرهم إلى يوم الدين، أما بعد:

ومنها: تأخيره للفطور إلى السّحر. روي عنه من حديث عائشة وأنس أنّه ﷺ كان في ليالي العشر يجعل عشاءه سحورا. ولفظ حديث عائشة: "كان رسول الله ﷺ إذا كان رمضان قام ونام، فإذا دخل العشر شدّ المئزر، واجتنب النساء، واغتسل بين الأذانين، وجعل العشاء سحوراً" (١) أخرجه ابن أبي عاصم، وإسناده مقارب.

وفي الصحيحين ما يشهد لهذه الروايات، ففيهما عن أبي هريرة، قال: نهى رسول الله ﷺ عن الوصال في الصّوم، فقال له رجل من المسلمين: إنك تواصل يا رسول الله؟ فقال: **«وأيّكم مثلي؟ إني أبيت يطعمني ربّي ويسقيني. فلمّا أبوا أن ينتهوا عن الوصال واصل بهم يومًا، ثم يومًا، ثم رأوا الهلال. فقال: لو تأخّر لزدتكم، كالتّنكيل لهم حين أبوا أن ينتهوا»**(٢) فهذا يدلّ على أنّه واصل بالناس في آخر الشهر.

وروى عاصم بن كليب، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: ما واصل النبيّ ﷺ وصالكم قطّ، غير أنّه قد أخّر الفطر إلى السّحور. وإسناده لا بأس به. وخرّج الإمام أحمد من حديث علي أنّ النبي ﷺ كان يواصل إلى السّحر(٣)، وخرّجه الطبرانيّ من حديث جابر أيضًا.(٤)

وخرّج ابن جرير الطبري من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-: أنّ النبي ﷺ كان يواصل إلى السّحر، ففعل ذلك بعض أصحابه، فنهاه، فقال: أنت تفعل ذلك. فقال: **«إنكم لستم مثلي، إنّي أظلّ عند ربّي يطعمني ويسقيني»**.

قال أحمد وإسحاق: لا يكره الوصال إلى السّحر.

---

(١) أخرجه: الطبراني في الأوسط (٥٦٥٣).

(٢) أخرجه: البخاري (٣/ ٤٩) (١٩٦٥)، ومسلم (٣/ ١٣٣) (١١٠٣).

(٣) أخرجه: أحمد (١/ ١٤١).

(٤) أخرجه: الطبراني في الأوسط (٣٧٥٦).

وفي صحيح البخاري عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ، قال: «**لا تواصلوا، فأيّكم أراد أن يواصل فليواصل إلى السّحر. قالوا: فإنّك تواصل يا رسول الله؟ قال: إنّي لست كهيئتكم، إني أبيت لي مطعم يطعمني وساق يسقيني**»[1].

وظاهر هذا يدلّ على أنّه ﷺ كان يواصل الليل كلّه، وقد يكون ﷺ إنّما فعل ذلك لأنّه رآه أنشط له على الاجتهاد في ليالي العشر، ولم يكن ذلك مضعفا له عن العمل؛ فإنّ الله كان يطعمه ويسقيه.

واختلف في معنى إطعامه؛ والصحيح أنّه إشارة إلى ما كان الله يفتحه عليه في صيامه وخلوته بربّه، لمناجاته وذكره من موادّ أنسه ونفحات قدسه، فكان يرد بذلك على قلبه من المعارف الإلهية والمنح الربانية ما يغذّيه ويغنيه عن الطّعام والشراب. كما قيل:

لها أحاديث من ذكراك تشغلها ... عن الطعام وتلهيها عن الزّاد

لها بوجهك نور تستضيء به ... وقت المسير وفي أعقابها حادي

إذا شكت من كلال السّير أوعدها ... روح القدوم فتحيا عند ميعاد

الذّكر قوت قلوب العارفين، يغنيهم عن الطعام والشراب، كما قيل:

أنت ريّي إذا ظمئت إلى الماء ... وقوتي إذا أردت الطّعاما

لما جاع المجتهدون شبعوا من طعام المناجاة[2].

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) أخرجه: البخاري (٣/ ٤٨ - ٤٩) (١٩٦٣)، وأبو داود (٢٣٦١).

(٢) "لطائف المعارف" (ص ٣٣٢ - ٣٣٥).

الدرس الثالث والعشرون

(تتمة هدي النبي ﷺ في العشر الأواخر من رمضان)

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وعلى آله وأصحابه، ومن اقتفى أثرهم إلى يوم الدين، أما بعد:

ومنها: اغتساله بين العشاءين، وقد تقدّم من حديث عائشة: "واغتسل بين الأذانين". والمراد: أذان المغرب والعشاء.

وروي من حديث علي أنّ النبيّ ﷺ كان يغتسل بين العشاءين كلّ ليلة، يعني من العشر الأواخر. وفي إسناده ضعف. وروي عن حذيفة أنّه قام مع النبي ﷺ ليلة من رمضان، فاغتسل النبيّ ﷺ وستره حذيفة، وبقيت فضلة فاغتسل بها حذيفة وستره النبيّ ﷺ. خرّجه ابن أبي عاصم. وفي رواية أخرى عن حذيفة، قال: قام النبيّ ﷺ ذات ليلة من رمضان في حجرة من جريد النّخل، فصبّ عليه دلوا من ماء.

وقال ابن جرير: كانوا يستحبون أن يغتسلوا كلّ ليلة من ليالي العشر الأواخر. وكان النّخعيّ يغتسل في العشر كلّ ليلة، ومنهم من كان يغتسل ويتطيّب في الليالي التي تكون أرجى لليلة القدر، فأمر زر بن حبيش بالاغتسال ليلة سبع وعشرين من رمضان. وروي عن أنس بن مالك –رضي الله عنه– أنه إذا كان ليلة أربع وعشرين اغتسل وتطيّب ولبس حلّة إزارًا ورداء، فإذا أصبح طواهما فلم يلبسهما إلى مثلها من قابل.

وكان أيوب السّختياني يغتسل ليلة ثلاث وعشرين وأربع وعشرين، ويلبس ثوبين جديدين، ويستجمر ويقول: ليلة ثلاث وعشرين هي ليلة أهل المدينة، والتي تليها ليلتنا، يعني البصريين. وقال حمّاد بن سلمة: كان ثابت البناني، وحميد الطويل يلبسان أحسن ثيابهما ويتطيّبان، ويطيّبون المسجد بالنّضوح والدّخنة في الليلة التي يرجى فيها ليلة القدر. وقال ثابت: كان لتميم الداريّ حلّة اشتراها بألف درهم، كان يلبسها في الليلة التي يرجى فيها ليلة القدر.

فتبيّن بهذا أنّه يستحبّ في الليالي التي ترجى فيها ليلة القدر التنظّف والتزيّن، والتطيب بالغسل والطّيب واللباس الحسن، كما يشرع ذلك في الجمع والأعياد، وكذلك يشرع أخذ الزّينة بالثياب في سائر

الصّلوات، كما قال تعالى: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾[الأعراف:٣١]. وقال ابن عمر: «الله أحقّ أن يتزيّن له». وروي عنه مرفوعًا.

ولا يكمل التزيّن الظاهر إلا بتزين الباطن؛ بالتّوبة والإنابة إلى الله تعالى، وتطهيره من أدناس الذنوب وأوضارها؛ فإنّ زينة الظاهر مع خراب الباطن لا تغني شيئا. قال الله تعالى: ﴿يا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنا عَلَيْكُمْ لِباسًا يُوارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِباسُ التَّقْوى ذلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف:٢٦].

إذا المرء لم يلبس ثيابا من التّقى ... تقلّب عريانًا وإن كان كاسيًا

لا يصلح لمناجاة الملوك في الخلوات إلاّ من زيّن ظاهره وباطنه، وطهّرهما خصوصا لملك الملوك الذي يعلم السّرّ وأخفى، وهو لا ينظر إلى صوركم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم، فمن وقف بين يديه فليزيّن له ظاهره باللباس، وباطنه بلباس التّقوى.

ومنها: الاعتكاف: ففي الصحيحين عن عائشة -رضي الله عنها-، "أنّ النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتّى توفّاه الله"(١) وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة -رضي الله عنه-، قال: "كان رسول الله ﷺ يعتكف في كلّ رمضان عشرة أيام. فلمّا كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين"(٢).

وإنما كان يعتكف النبي ﷺ في هذه العشر التي يطلب فيها ليلة القدر، قطعا لأشغاله، وتفريغا لباله، وتخلّيا لمناجاة ربّه وذكره ودعائه. وكان يحتجر حصيرا يتخلى فيها عن الناس، فلا يخالطهم، ولا يشتغل بهم؛ ولهذا ذهب الإمام أحمد إلى أن المعتكف لا يستحبّ له مخالطة النّاس، حتّى ولا لتعليم علم، وإقراء قرآن، بل الأفضل له الانفراد بنفسه والتخلّي بمناجاة ربّه وذكره ودعائه. وهذا الاعتكاف هو الخلوة الشّرعية، وإنما يكون في المساجد؛ لئلّا يترك به الجمع والجماعات؛ فإنّ الخلوة القاطعة عن الجمع والجماعات منهيّ عنها.

سئل ابن عبّاس عن رجل يصوم النّهار ويقوم الليل، ولا يشهد الجمعة والجماعة؟ قال: هو في النار.

(١) أخرجه: البخاري (٣/ ٦٢) (٢٠٢٦)، ومسلم (٣/ ١٧٥) (١١٧٢)، وأحمد (٦/ ٩٢، ٦/ ٢٧٩، ٢٣٢)، وأبو داود (٢٤٦٢).
(٢) أخرجه: البخاري (٣/ ٦٧)، وأبو داود (٢٤٦٦)، وابن ماجه (١٧٦٩).

فالخلوة المشروعة لهذه الأمة هي الاعتكاف في المساجد، خصوصا في شهر رمضان، خصوصا في العشر الأواخر منه، كما كان النبي ﷺ يفعله.

فالمعتكف قد حبس نفسه على طاعة الله وذكره، وقطع عن نفسه كلّ شاغل يشغله عنه، وعكف بقلبه وقالبه على ربّه وما يقرّبه منه، فما بقي له همّ سوى الله، وما يرضيه عنه.

فمعنى الاعتكاف وحقيقته: قطع العلائق عن الخلائق للاتصال بخدمة الخالق، وكلّما قويت المعرفة بالله والمحبّة له، والأنس به، أورثت صاحبها الانقطاع إلى الله تعالى بالكلية على كلّ حال.

كان بعضهم لا يزال منفردًا في بيته، خاليًا بربّه، فقيل له: أما تستوحش؟ قال: كيف أستوحش وهو يقول: أنا جليس من ذكرني! (١)

أوحشتني خلواتي ... بك من كلّ أنيسي

وتفرّدت فعاينتك ... بالغيب جليسي (٢)

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

—•———•(((❁)))•———•—

(١) روي عن كعب قال: قال موسى عليه السّلام: يا رب أقريب أنت فأناجيك أم بعيد فأناديك؟ فقيل له: يا موسى؛ أنا جليس من ذكرني ...» رواه البيهقي في الشعب (١/ ٤٥١) (٦٨٠)، وابن أبي شيبة (١/ ١٠٨) (١٢٢٤)، و (٧/ ٧٣) (٣٤٢٨٧).

(٢) "لطائف المعارف" (ص ٣٣٦ إلى ٣٣٩).

الدرس الرابع والعشرون

(فضل السبع الأواخر من رمضان)

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وعلى آله وأصحابه، ومن اقتفى أثرهم إلى يوم الدين، أما بعد:

في الصحيحين عن ابن عمر –رضي الله عنه–: أنّ رجالا من أصحاب النبي ﷺ أروا ليلة القدر في المنام في السّبع الأواخر، فقال رسول الله ﷺ: **«أرى رؤياكم قد تواطأت في السّبع الأواخر، فمن كان متحرّيها فليتحرّها في السّبع الأواخر»**[(١)] وفي صحيح مسلم عنه، عن النبي ﷺ قال: **«التمسوها في العشر الأواخر، فإن ضعف أحدكم أو عجز فلا يغلبنّ على السّبع البواقي»**[(٢)].

قد ذكرنا فيما تقدّم أنّ النبي ﷺ كان يجتهد في شهر رمضان على طلب ليلة القدر، وأنّه اعتكف مرّة العشر الأول منه، ثم طلبها فاعتكف بعد ذلك العشر الأوسط في طلبها وأنّ ذلك تكرّر منه غير مرّة، ثم استقرّ أمره على اعتكاف العشر الأواخر في طلبها، وأمر بطلبها فيه؛ ففي الصحيحين عن عائشة–رضي الله عنها– أنّ النبي ﷺ قال: **«تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان»**[(٣)].

وفي رواية للبخاري: **«في الوتر من العشر الأواخر من رمضان»** وله من حديث ابن عباس، عن النبي ﷺ، قال: **«التمسوها في العشر الأواخر من رمضان»**[(٤)] ولمسلم من حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: **«التمسوها في العشر الغوابر»**[(٥)] والأحاديث في المعنى كثيرة.

وكان يأمر بالتماسها في أوتار العشر الأواخر. ففي صحيح البخاري عن ابن عباس–رضي الله عنه– عن النبي ﷺ، قال: **«التمسوا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان؛ في تاسعة تبقى، في سابعة تبقى، في خامسة تبقى»** [(٦)] وفي رواية له: **«هي في العشر؛ في سبع يمضين، أو سبع يبقين»**.

---

(١) أخرجه: البخاري (٣/ ٦٠) (١١٥٨) (٢٠١٥)، ومسلم (٣/ ١٧٠) (١١٦٥).

(٢) أخرجه: مسلم (٣/ ١٧٠) (١١٦٥).

(٣) أخرجه: البخاري (٣/ ٦٠) (٢٠١٧)، ومسلم (٣/ ١٧٣) (١١٦٩).

(٤) أخرجه: البخاري (٣/ ٦١) (٢٠٢١).

(٥) أخرجه: مسلم (٣/ ١٧٠) (١١٦٥).

(٦) أخرجه: البخاري (٣/ ٦١) (٢٠٢١).

وخرّج الإمام أحمد والنّسائي والترمذيّ من حديث أبي بكرة، قال: ما أنا بملتمسها لشيء سمعته من رسول الله ﷺ إلاّ في العشر الأواخر؛ فإنّي سمعته يقول: «**التمسوها في تسع يبقين، أو سبع يبقين، أو خمس يبقين، أو ثلاث يبقين، أو آخر ليلة**» (١) وكان أبو بكرة يصلّي في العشرين من رمضان كصلاته في سائر السّنة، فإذا دخل العشر اجتهد، ثم بعد ذلك أمر بطلبها في السّبع الأواخر.

وفي المسند وكتاب النسائي عن أبي ذرّ، قال: «**كنت أسأل الناس عنها –يعني ليلة القدر– فقلت: يا رسول الله، أخبرني عن ليلة القدر، أفي رمضان هي، أو في غيره؟ قال: بل هي في رمضان. قلت: تكون مع الأنبياء ما كانوا، فإذا قبضوا رفعت، أم هي إلى يوم القيامة؟ قال: بل هي إلى يوم القيامة. قلت: في أيّ رمضان هي؟ قال: التمسوها في العشر الأول والعشر الأواخر. قلت: في أي العشرين هي؟ قال: في العشر الأواخر، لا تسألني عن شيء بعدها. ثم حدّث رسول الله ﷺ، ثم اهتبلت غفلته، فقلت: يا رسول الله، أقسمت عليك بحقّي لما أخبرتني، في أيّ العشر هي؟ فغضب عليّ غضبا لم يغضب مثله منذ صحبته، وقال: التمسوها في السّبع الأواخر؛ لا تسألني عن شيء بعدها**» (٢) وخرّجه ابن حبّان في صحيحه والحاكم.

وفي رواية لهما: أنّه قال: «**ألم أنهك أن تسألني عنها؟ إن الله لو أذن لي أن أخبركم بها لأخبرتكم، لا آمن أن تكون في السّبع الأواخر**» (٣) ففي هذه الرواية أنّ بيان النبي ﷺ لليلة القدر انتهى إلى أنّها في السّبع الأواخر، ولم يزد على ذلك شيئا، وهذا ممّا يستدلّ به من رجّح ليلة ثلاث وعشرين وخمس وعشرين على ليلة إحدى وعشرين؛ فإنّ ليلة إحدى وعشرين ليست من السّبع الأواخر بلا تردّد.

وقد روي عن النبي ﷺ من وجوه أخر أنّه بيّن أنّها ليلة سبع وعشرين، كما سيأتي إن شاء الله تعالى (٤).

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

—•———•(((❁)))•———•—

(١) أخرجه: أحمد (٥/ ٣٦ – ٣٩)، والترمذي (٧٩٤)

(٢) أخرجه: أحمد (٥/ ١٧١)، والنسائي في الكبرى (٣٤١٣)

(٣) أخرجه: ابن خزيمة (٢١٧٠، ٢١٦٩)، والحاكم (١/ ٤٣٧)

(٤) "لطائف المعارف" (ص ٣٤٣ إلى ٣٤٥).

الدرس الخامس والعشرون

(من أعظم أسباب المغفرة كلمة الاستغفار)

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وعلى آله وأصحابه، ومن اقتفى أثرهم إلى يوم الدين، أما بعد:

وأمّا كلمة الاستغفار؛ فمن أعظم أسباب المغفرة، فإنّ الاستغفار دعاء بالمغفرة، ودعاء الصّائم مستجاب في حال صيامه، وعند فطره. وقد سبق حديث أبي هريرة المرفوع: «**ويغفر فيه –يعني شهر رمضان– إلاّ لمن أبى**» قالوا: يا أبا هريرة، ومن يأبى؟ قال: من أبى أن يستغفر الله عز وجل.

قال الحسن: أكثروا من الاستغفار، فإنّكم لا تدرون متى تنزل الرّحمة.

وقال لقمان لابنه: يا بني، عوّد لسانك الاستغفار؛ فإنّ لله ساعات لا يردّ فيهنّ سائلًا.

وقد جمع الله بين التوحيد والاستغفار في قوله تعالى: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ**﴾ [محمّد:١٩]. وفي بعض الآثار: أنّ إبليس قال: أهلكت النّاس بالذّنوب، وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار.

والاستغفار ختام الأعمال الصّالحة كلّها؛ فتختم به الصّلاة والحجّ وقيام الليل، ويختم به المجالس؛ فإن كانت ذكرا كان كالطابع عليها، وإن كانت لغوا كان كفّارة لها، فلذلك ينبغي أن يختم صيام رمضان بالاستغفار.

كتب عمر بن عبد العزيز إلى الأمصار يأمرهم بختم شهر رمضان بالاستغفار والصّدقة، صدقة الفطر؛ فإنّ صدقة الفطر طهرة للصّائم من اللغو والرّفث.

والاستغفار يرقع ما تخرّق من الصّيام باللغو والرّفث؛ ولهذا قال بعض العلماء المتقدمين: إنّ صدقة الفطر للصائم كسجدتي السّهو للصّلاة.

وقال عمر بن عبد العزيز في كتابه: قولوا كما قال أبوكم آدم: ﴿**رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا وَتَرْحَمْنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ**﴾[الأعراف:٢٣]، وقولوا كما قال نوح عليه السلام: ﴿**وَإِلاّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخاسِرِينَ**﴾[هود:٤٧]، وقولوا كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿**وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ**﴾[الشعراء:٨٢]، وقولوا كما قال موسى عليه السلام: ﴿**رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ**

نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾[القصص:١٦]، وقولوا كما قال ذو النون عليه السلام: ﴿لا إِلهَ إِلاّ أَنْتَ سُبْحانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظّالِمِينَ﴾[الأنبياء:٨٧].

ويروى عن أبي هريرة –رضي الله عنه–، قال: الغيبة تخرّق الصّيام، والاستغفار يرقّعه؛ فمن استطاع منكم أن يجيء بصوم مرقّع فليفعل. وعن ابن المنكدر: معنى ذلك: الصيام جنّة من النّار ما لم يخرقها، والكلام السيئ يخرق هذه الجنّة، والاستغفار يرقّع ما تخرق منها.

فصيامنا هذا يحتاج إلى استغفار نافع، وعمل صالح له شافع. كم نخرق صيامنا بسهام الكلام، ثم نرقّعه وقد اتّسع الخرق على الرّاقع. كم نرفو خروقه بمخيط الحسنات، ثم نقطعه بحسام السيئات القاطع.

كان بعض السّلف إذا صلّى صلاة استغفر من تقصيره فيها، كما يستغفر المذنب من ذنبه. إذا كان هذا حال المحسنين في عباداتهم، فكيف حال المسيئين مثلنا في عباداتهم؟ ارحموا من حسناته سيئات، وطاعاته كلّها غفلات.

أستغفر الله من صيامي ... طول زماني ومن صلاتي

صيامنا كلّه خروق ... وصلاته أيّما صلاتي

مستيقظ في الدّجى ولكن ... أحسن من يقظتي سباتي

وقريب من هذا أمر النبي ﷺ لعائشة في ليلة القدر بسؤال العفو؛ فإنّ المؤمن يجتهد في شهر رمضان في صيامه وقيامه، فإذا قرب فراغه وصادف ليلة القدر، لم يسأل الله تعالى إلاّ العفو، كالمسيء المقصّر. كان صلة بن أشيم يحيي الليل، ثم يقول في دعائه في السّحر: اللهم، إنّي أسألك أن تجيرني من النار، ومثلي يجترئ أن يسألك الجنّة. كان مطرّف يقول في دعائه: اللهم، ارض عنّا، فإن لم ترض عنّا فاعف عنّا. قال يحيى بن معاذ: ليس بعارف من لم يكن غاية أمله من الله العفو.

إن كنت لا أصلح للقرب ... فشأنكم عفو عن الذّنب

أنفع الاستغفار ما قارنته التّوبة، وهي حلّ عقدة الإصرار، فمن استغفر بلسانه وقلبه على المعصية معقود، وعزمه أن يرجع إلى المعاصي بعد الشهر ويعود، فصومه عليه مردود، وباب القبول عنه مسدود. قال كعب: من صام رمضان وهو يحدّث نفسه أنّه إذا أفطر بعد رمضان أن لا يعصي الله، دخل الجنّة

بغير مسألة ولا حساب. ومن صام رمضان وهو يحدّث نفسه أنّه إذا أفطر عصى ربّه، فصيامه عليه مردود. وخرّجه سلمة بن شبيب[1].

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

—•———•(((❁)))•———•—

(١) "لطائف المعارف" (ص ٣٧٦ إلى ٣٧٨).

الدرس السادس والعشرون

(ليلة سبع وعشرين هي أرجى ليالي العشر لتكون ليلة القدر)

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وعلى آله وأصحابه، ومن اقتفى أثرهم إلى يوم الدين، أما بعد:

واختلفوا في أرجى لياليه، واستدلّ من رجّح ليلة سبع وعشرين بأنّ أبيّ بن كعب كان يحلف على ذلك، ويقول: بالآية أو بالعلامة التي أخبرنا بها رسول الله ﷺ أنّ الشمس تطلع في صبيحتها لا شعاع لها. خرّجه مسلم(١).

وخرّجه أيضا بلفظ آخر عن أبيّ بن كعب –رضي الله عنه– قال: والله، إنّي لأعلم أيّ ليلة هي، هي الليلة التي أمرنا بها رسول الله ﷺ بقيامها، هي ليلة سبع وعشرين.

وفي مسند الإمام أحمد عن ابن عبّاس–رضي الله عنه– أنّ رجلًا قال: يا رسول الله، إنّي شيخ كبير عليل يشقّ عليّ القيام، فمرني بليلة توفّقني فيها لليلة القدر. قال: «**عليك بالسابعة**»(٢)وإسناده على شرط البخاري.

وروى الإمام أحمد أيضا، قال: حدّثنا يزيد بن هارون، أنبأنا شعبة، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كان منكم متحرّيها فليتحرّها ليلة سبع وعشرين**»، أو قال: «**تحرّوها ليلة سبع وعشرين**»، يعني ليلة القدر(٣).

ورواه حمّاد بن زيد، عن أيّوب، عن نافع، عن ابن عمر، قال: كانوا لا يزالون يقصّون على النبي ﷺ أنّها الليلة السابعة من العشر الأواخر. فقال رسول الله ﷺ: «**أرى رؤياكم قد تواطأت أنّها ليلة السابعة في العشر الأواخر، فمن كان متحرّيها فليتحرّها ليلة السابعة من العشر الأواخر**». كذا رواه حنبل بن إسحاق، عن عارم، عن حمّاد، وكذا خرّجه الطحاويّ (٤)، عن إبراهيم بن مرزوق، عن عارم.

---

(١) أخرجه: مسلم (٢/ ١٧٨) (٧٦٢).

(٢) أخرجه: أحمد (١/ ٢٤٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ٣١٢ -٣١٣).

(٣) أخرجه: أحمد (٢/ ٢٧)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣/ ٩١).

(٤) أخرجه: الطحاوي في «شرح المعاني» (٣/ ٩١).

وفي سنن أبي داود بإسناد رجاله كلّهم رجال الصحيح، عن معاوية، عن النبي ﷺ في ليلة القدر ليلة سبع وعشرين. وخرّجه ابن حبّان في صحيحه [1] وصحّحه ابن عبد البرّ؛ وله علّة، وهي وقفه على معاوية. وهو أصحّ عند الإمام أحمد والدّارقطني. وقد اختلف أيضا عليه في لفظه.

وفي المسند عن ابن مسعود ﷺ **«أنّ رجلا أتى النبيّ ﷺ فقال: متى ليلة القدر؟ فقال: من يذكر منكم ليلة الصّهباوات؟ قال عبد الله: أنا، بأبي أنت وأمّي، وإنّ في يدي لتمرات أتسحّر بهنّ مستترا بمؤخرة رحلي من الفجر، وذلك حين طلع القمر»**[2] وخرّجه يعقوب بن شيبة في مسنده، وزاد:

«وذلك ليلة سبع وعشرين». وقال: صالح الإسناد.

وممّا يرجّح أنّ ليلة القدر ليلة سبع وعشرين أنّها من السّبع الأواخر التي أمر النّبي ﷺ بالتماسها فيها، بالاتفاق.

ومما يدلّ على ذلك أيضا حديث أبي ذرّ في قيام النبي ﷺ بهم في أفراد السّبع الأواخر، وأنّه قام بهم في الثالثة والعشرين إلى ثلث الليل، وفي الخامسة إلى نصف الليل، وفي السابعة إلى آخر الليل؛ حتى خشوا أن يفوتهم الفلاح.

وجمع أهله ليلتئذ، وجمع النّاس.

وهذا كلّه يدلّ على تأكّدها على سائر أفراد السبع والعشر[3].

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

—•———•(((❁)))•———•—

(١) أخرجه: أبو داود (١٣٨٦)، وابن حبان (٣٦٨٠).

(٢) أخرجه: أحمد (٤٥٣، ٣٩٦، ١/ ٣٧٦).

(٣) "لطائف المعارف" (ص ٣٥١ إلى ٣٥٤).

الدرس السابع والعشرون

(من مكفرات الذنوب صيام رمضان وقيامه)

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وعلى آله وأصحابه، ومن اقتفى أثرهم إلى يوم الدين، أما بعد:

في الصحيحين من حديث أبي هريرة–رضي الله عنه– عن النبي ﷺ، قال: «**من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدّم من ذنبه. ومن قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدّم من ذنبه**»(١)

وفيهما أيضًا من حديث أبي هريرة أيضا –رضي الله عنه–، عن النبي ﷺ، قال: «**من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدّم من ذنبه**»(٢).

والتكفير بصيامه قد ورد مشروطًا بالتحفّظ ممّا ينبغي أن يتحفّظ منه. ففي المسند وصحيح ابن حبّان عن أبي سعيد –رضي الله عنه– عن النبي ﷺ، قال: «**من صام رمضان فعرف حدوده وتحفّظ ممّا ينبغي له أن يتحفّظ منه، كفّر ذلك ما قبله**»(٣).

والجمهور على أن ذلك إنّما يكفّر الصغائر، ويدلّ عليه ما خرّجه مسلم من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ، قال: «**الصّلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفّرات لما بينهنّ، ما اجتنبت الكبائر**»(٤).

وفي تأويله قولان:

أحدهما: أن تكفير هذه الأعمال مشروط باجتناب الكبائر، فمن لم يجتنب الكبائر لم تكفّر له هذه الأعمال كبيرة ولا صغيرة.

والثاني: أنّ المراد أنّ هذه الفرائض تكفّر الصغائر خاصّة بكلّ حال، وسواء اجتنبت الكبائر أو لم تجتنب، وأنّها لا تكفّر الكبائر بحال.

---

(١) أخرجه: البخاري (٣/ ٣٣) (٢٠١٤)، ومسلم (٢/ ١٧٧) (٧٦٠)، وأبو داود (١٣٧٢)، والترمذي (٦٨٣)، والنسائي (٤/ ١٥٧)، وابن ماجه (١٣٢٦)، وأحمد (٢/ ٥٠٣).

(٢) أخرجه: البخاري (٣/ ٥٨) (٢٠٠٩)، ومسلم (٢/ ١٧٦) (٧٥٩)، وأبو داود (١٣٧١)، والترمذي (٨٠٨)، والنسائي (٣/ ٢٠١)، وأحمد (٢/ ٢٨١).

(٣) أخرجه: أحمد (٣/ ٥٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ٣٠٤)، وابن حبان (٣٤٣٣).

(٤) أخرجه: مسلم (١/ ١٤٤) (٢٣٣)، وأحمد (٢/ ٤٠٠).

وقد قال ابن المنذر في قيام ليلة القدر: إنّه يرجى به مغفرة الذنوب؛ كبائرها وصغائرها. وقال غيره مثل ذلك في الصّوم أيضا. والجمهور على أنّ الكبائر لا بدّ لها من توبة نصوح. وهذه المسائل قد ذكرناها مستوفاة في مواضع أخر.

فدلّ حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- على أنّ هذه الأسباب الثلاثة كلّ واحد منها مكفّر لما سلف من الذّنوب، وهي صيام رمضان، وقيامه، وقيام ليلة القدر.

فقيام ليلة القدر بمجرده يكفّر الذنوب لمن وقعت له، كما في حديث عبادة بن الصّامت، وقد سبق ذكره. وسواء كانت في أوّل العشر أو أوسطه أو آخره، وسواء شعر بها أو لم يشعر. ولا يتأخّر تكفير الذنوب بها إلى انقضاء الشّهر.

وأمّا صيام رمضان وقيامه، فيتوقّف التكفير بهما على تمام الشهر، فإذا تمّ الشّهر فقد كمل للمؤمن صيام رمضان وقيامه، فيترتّب له على ذلك مغفرة ما تقدّم من ذنبه بتمام السّببين، وهما صيام رمضان وقيامه.

وقد يقال: إنه يغفر لهم عند استكمال القيام في آخر ليلة من رمضان، بقيام رمضان قبل تمام نهارها، وتتأخّر المغفرة بالصيام إلى إكمال النهار بالصّوم، فيغفر لهم بالصوم في ليلة الفطر.

ويدلّ على ذلك ما خرّجه الإمام أحمد من حديث أبي هريرة-رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: **«أعطيت أمتي خمس خصال في رمضان لم تعطها أمّة غيرهم: خلوف فم الصّائم أطيب عند الله من ريح المسك، وتستغفر لهم الملائكة حتّى يفطروا، ويزيّن الله كلّ يوم جنّته، ويقول: يوشك عبادي أن يلقوا عنهم المؤنة والأذى ويصيروا إليك، وتصفّد فيه مردة الشّياطين؛ فلا يخلصون فيه إلى ما كانوا يخلصون إليه في غيره، ويغفر لهم في آخر ليلة، فقيل له: يا رسول الله، أهي ليلة القدر؟ قال: لا، ولكنّ العامل إنما يوفّى أجره إذا قضى عمله»**[1].

وقد روي أنّ الصّائمين يرجعون يوم الفطر مغفورا لهم، وأنّ يوم الفطر يسمّى يوم الجوائز[2] وقال الزّهريّ: إذا كان يوم الفطر خرج النّاس إلى الجبّان اطّلع الله عليهم، فقال: عبادي، لي صمتم، ولي

(١) أخرجه: أحمد (٢/ ٢٩٢)

(٢) وساقه مسلم في مقدمة «صحيحه» على سبيل الإنكار.

قمتم، ارجعوا مغفورا لكم. قال مورّق العجليّ لبعض إخوانه في المصلّى يوم الفطر: يرجع هذا اليوم قوم كما ولدتهم أمّهاتهم.

وفي حديث أبي جعفر الباقر المرسل: «**من أتى عليه رمضان فصام نهاره، وصلّى وردا من ليله، وغضّ بصره، وحفظ فرجه ولسانه ويده، وحافظ على صلاته في الجماعة، وبكّر إلى جمعة، فقد صام الشّهر واستكمل الأجر، وأدرك ليلة القدر، وفاز بجائزة الرّبّ**». قال أبو جعفر: جائزة لا تشبه جوائز الأمراء[1].

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) "لطائف المعارف" (ص ٣٦٤ إلى ٣٦٧).

الدرس الثامن والعشرون

(الحرص على إتمام العمل وإكماله وإتقانه)

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وعلى آله وأصحابه، ومن اقتفى أثرهم إلى يوم الدين، أما بعد:

من وفّى ما عليه من العمل كاملًا وفّي له الأجر كاملًا، ومن سلّم ما عليه موفّرا تسلّم ماله نقدًا لا مؤخّرًا.

ما بعتكم مهجتي إلا بوصلكم ... ولا أسلّمها إلاّ يدا بيد

ومن نقص من العمل الذي عليه نقّص من الأجر بحسب نقصه، فلا يلم إلاّ نفسه. قال سلمان: الصّلاة مكيال، فمن وفى وفّي له، ومن طفّف فقد علمتم ما قيل في المطفّفين. فالصّيام وسائر الأعمال على هذا المنوال؛ من وفّاها فهو من خيار عباد الله الموفّين، ومن طفّف فيها فويل للمطفّفين. أما يستحيي من يستوفي مكيال شهواته. ويطفّف في مكيال صيامه وصلاته، ألا بعدا لمدين.

في الحديث: «أسوأ الناس سرقة الذي يسرق صلاته»[1] إذا كان الويل لمن طفّف مكيال الدّنيا، فكيف حال من طفّف مكيال الدّين! ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ﴾ [الماعون:٤-٥].

غدًا توفّى النفوس ما كسبت ... ويحصد الزّارعون ما زرعوا

إن أحسنوا أحسنوا لأنفسهم ... وإن أساءوا فبئس ما صنعوا

كان السّلف الصّالح يجتهدون في إتمام العمل وإكماله وإتقانه، ثم يهتمّون بعد ذلك بقبوله، ويخافون من ردّه، وهؤلاء الذين ﴿يُؤْتُونَ ما آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾[المؤمنون:٦٠]. روي عن علي -رضي الله عنه-، قال: كونوا لقبول العمل أشدّ اهتماما منكم بالعمل، ألم تسمعوا الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[المائدة:٢٧]. وعن فضالة بن عبيد، قال: لأن أكون أعلم أنّ الله قد تقبّل

(١) أخرجه: أحمد (٣/ ٥٦)، وأبو يعلى (١٣١١)، وابن أبي شيبة (١/ ٢٥٧) من حديث أبي سعيد الخدري، وأحمد (٥/ ٣١٠)، والطبراني في الأوسط (٨١٧٩)، وابن خزيمة (٦٦٣).

منّي مثقال حبّة من خردل أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها؛ لأنّ الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة:٢٧].

وقال مالك بن دينار: الخوف على العمل أن لا يتقبّل أشدّ من العمل. وقال عطاء السّليمي[١]: الحذر: الاتقاء على العمل أن لا يكون لله. وقال عبد العزيز بن أبي روّاد: أدركتهم يجتهدون في العمل الصالح، فإذا فعلوه وقع عليهم الهمّ، أيقبل منهم أم لا.

قال بعض السّلف: كانوا يدعون الله ستّة أشهر أن يبلّغهم شهر رمضان، ثم يدعون الله ستّة أشهر أن يتقبّله منهم.

خرج عمر بن عبد العزيز –رحمه الله– في يوم عيد فطر، فقال في خطبته: أيّها الناس، إنّكم صمتم لله ثلاثين يوما، وقمتم ثلاثين ليلة، وخرجتم اليوم تطلبون من الله أن يتقبّل منكم.

روي عن عليّ –رضي الله عنه– أنّه كان ينادي في آخر ليلة من شهر رمضان: يا ليت شعري! من هذا المقبول فنهنّيه؟ ومن هذا المحروم فنعزّيه؟ وعن ابن مسعود أنّه كان يقول: من هذا المقبول منّا فنهنّيه؟ ومن هذا المحروم منّا فنعزّيه؟ أيّها المقبول هنيئا لك، أيّها المردود جبر الله مصيبتك.

ليت شعري من فيه يقبل منّا ... فيهنّا يا خيبة المردود

من تولّى عنه بغير قبول ... أرغم الله أنفه بخزي شديد

ماذا فات من فاته خير رمضان؟ وأي شيء أدرك من أدركه فيه الحرمان؟ كم بين من حظّه فيه القبول والغفران، ومن كان حظّه فيه الخيبة والخسران. ربّ قائم حظّه من قيامه السّهر، وصائم حظّه من صيامه الجوع والعطش[٢].

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) في الأصول: «السلمي»، وترجمته في سير أعلام النبلاء (٦/ ٨٦).

(٢) "لطائف المعارف" (ص ٣٦٧ إلى ٣٧٠).

المجلس التاسع والعشرون

(وداع رمضان)

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وعلى آله وأصحابه، ومن اقتفى أثرهم إلى يوم الدين، أما بعد:

عباد الله، إنّ شهر رمضان قد عزم على الرّحيل، ولم يبق منه إلاّ القليل.

فمن كان منكم أحسن فيه فعليه التمام، ومن كان فرّط فليختمه بالحسنى؛ فالعمل بالختام، فاستمتعوا منه فيما بقي من الليالي اليسيرة والأيام، واستودعوه عملا صالحا يشهد لكم به عند الملك العلاّم، وودّعوه عند فراقه بأزكى تحيّة وسلام.

سلام من الرّحمن كلّ أوان ... على خير شهر قد مضى وزمان

سلام على شهر الصّيام فإنّه ... أمان من الرحمن أيّ أمان

لئن فنيت أيّامك الغرّ بغتة ... فما الحزن من قلبي عليك بفان

كيف لا يجري للمؤمن على فراقه دموع، وهو لا يدري هل بقي له في عمره إليه رجوع.

تذكّرت أيّاما مضت ولياليا ... خلت فجرت من ذكرهنّ دموع

ألا هل لها يوما من الدّهر عودة ... وهل لي إلى وقت الوصال رجوع

وهل بعد إعراض الحبيب تواصل ... وهل لبدور قد أفلن طلوع

أين حرق المجتهدين في نهاره؟ أين قلق المتهجّدين في أسحاره؟

اسمع أنين العاشقي ... ن إن استطعت له سماعا

راح الحبيب فشيّعته ... مدامعي تهمي سراعا

لو كلّف الجبل الأصمّ ... فراق إلف ما استطاعا

إذا كان هذا جزع من ربح فيه، فكيف حال من خسر في أيّامه ولياليه؟ ماذا ينفع المفرط فيه بكاؤه، وقد عظمت فيه مصيبته وجلّ عزاؤه؟ كم نصح المسكين فما قبل النّصح! كم دعي إلى المصالحة فما أجاب إلى الصّلح! كم شاهد الواصلين فيه وهو متباعد! كم مرّت به زمر السّائرين وهو قاعد، حتى إذا ضاق به الوقت وحاق به المقت، ندم على التفريط حين لا ينفع النّدم، وطلب الاستدراك في وقت العدم.

أتـترك مـن تحـبّ وأنـت جـار ... وتـطـلـبـهـم وقـد بـعـد المـزار
وتبكي بعـد نأيهم اشـتياقا ... وتسـأل في المنـازل أين سـاروا
تركـت سـؤالهم وهم حضـور ... وتـرجـو أن تخـبّرك الـدّيار
فـنـفسـك لم ولا تـلـم المـطـايا ... ومـت كمـدا فليس لـك اعتـذار

يا شهر رمضان ترفّق، دموع المحبّين تدفّق، قلوبهم من ألم الفراق تشقّق، عسى وقفة للوداع تطفئ من نار الشوق ما أحرق، عسى ساعة توبة وإقلاع ترفو من الصّيام كلّ ما تخرّق، عسى منقطع عن ركب المقبولين يلحق، عسى أسير الأوزار يطلق، عسى من استوجب النار يعتق، عسى رحمة المولى لها العاصي يوفّق.

عسـى وعسـى من قبل وقت التّفرّق ... إلى كـلّ مـا ترجو من الخير ترتقي
فيجبر مكسـور ويقبـل تائـب ... ويعتق خطّاء ويسـعد من شـقي[1]

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) "لطائف المعارف" (ص ٣٨٠ إلى ٣٨٢).

الدرس الثلاثون

(الجائزة العظيمة هي العتق من النار)

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وعلى آله وأصحابه، ومن اقتفى أثرهم إلى يوم الدين، أما بعد:

وأمّا آخر الشهر فيعتق فيه من النار من أوبقته الأوزار، واستوجب النار بالذنوب الكبار.

وفي حديث ابن عباس المرفوع: «**لله في كلّ ليلة في شهر رمضان عند الإفطار ألف ألف عتيق من النار، فإذا كان ليلة الجمعة أو يوم الجمعة، أعتق في كل ساعة منها ألف ألف عتيق من النار، كلّهم قد استوجبوا العذاب، فإذا كان آخر ليلة من شهر رمضان أعتق الله في ذلك اليوم بعدد ما أعتق من أول الشهر إلى آخره**». خرّجه سلمة بن شبيب وغيره(١).

وإنما كان يوم الفطر من رمضان عيدا لجميع الأمة؛ لأنّه يعتق فيه أهل الكبائر من الصّائمين من النار، فيلتحق فيه المذنبون بالأبرار. كما أنّ يوم النّحر هو العيد الأكبر؛ لأنّ قبله يوم عرفة، وهو اليوم الذي لا يرى في يوم من الدنيا أكثر عتقا من النار منه، فمن أعتق من النّار في اليومين فله يوم عيد، ومن فاته العتق في اليومين فله يوم وعيد.

لما كانت المغفرة والعتق من النار كل منهما مرتّبا على صيام رمضان وقيامه، أمر الله عز وجل عند إكمال العدّة بتكبيره وشكره، فقال:﴿**وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلى ما هَداكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ [البقرة:١٨٥]، فشكر من أنعم على عباده بتوفيقهم للصّيام، وإعانتهم عليه، ومغفرته لهم به، وعتقهم من النّار، أن يذكروه ويشكروه ويتّقوه حقّ تقاته. وقد فسّر ابن مسعود -رضي الله عنه- تقواه حقّ تقاته بأن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر(٢).

فيا أرباب الذّنوب العظيمة، الغنيمة الغنيمة في هذه الأيام الكريمة؛ فما منها عوض ولا لها قيمة، فكم يعتق فيها من النّار من ذي جريرة وجريمة، فمن أعتق فيها من النّار فقد فاز بالجائزة العميمة والمنحة الجسيمة.

---

(١) أخرجه: الديلمي في مسند الفردوس (٤٩٦٠).

(٢) أخرجه: ابن أبي شيبة (٦/ ٣٢٦).

يا من أعتقه مولاه من النّار، إيّاك أن تعود بعد أن صرت حرّا إلى رقّ الأوزار، أيبعدك مولاك عن النار وأنت تتقرّب منها؟ وينقذك منها وأنت توقع نفسك فيها ولا تحيد عنها؟!

وإنّ امرأ ينجو من النّار بعد ما ... تزوّد من أعمالها لسعيد

فيا أيّها العاصي -وكلّنا ذلك- لا تقنط من رحمة الله لسوء أعمالك، فكم يعتق من النار في هذه الأيام من أمثالك. فأحسن الظّنّ بمولاك وتب إليه؛ فإنّه لا يهلك على الله إلاّ هالك.

إذا أوجعتك الذّنوب فداوها ... برفع يد في اللّيل واللّيل مظلم

ولا تقنطن من رحمة الله إنّما ... قنوطك منها من ذنوبك أعظم

فرحمته للمحسنين كرامة ... ورحمته للمذنبين تكرّم

ينبغي لمن يرجو العتق في شهر رمضان من النار أن يأتي بأسباب توجب العتق من النّار، وهي متيسرة في هذا الشهر. وكان أبو قلابة يعتق في آخر الشهر جارية حسناء مزينة يرجو بعتقها العتق من النار.

وفي حديث سلمان المرفوع الذي في صحيح ابن خزيمة: **«من فطّر فيه صائما كان عتقا له من النار. ومن خفّف فيه عن مملوكه كان له عتقا من النار»**. وفيه أيضًا: **«فاستكثروا فيه من أربع خصال: خصلتين ترضون بهما ربّكم، وخصلتين لا غناء بكم عنهما. فأمّا الخصلتان اللتان ترضون بهما ربّكم فشهادة أن لا إله إلاّ الله، والاستغفار. وأمّا اللتان لا غناء لكم عنهما، فتسألون الله الجنّة، وتعوذون به من النار»**[1].

فهذه الخصال الأربع المذكورة في هذا الحديث كلّ منها سبب للعتق والمغفرة.

فأمّا كلمة التوحيد؛ فإنّها تهدم الذّنوب وتمحوها محوا، ولا تبقي ذنبا، ولا يسبقها عمل. وهي تعدل عتق الرّقاب الذي يوجب العتق من النّار. ومن أتى بها أربع مرار: حين يصبح وحين يمسي، أعتقه الله من النار، ومن قالها خالصا من قلبه حرّمه الله على النار[2].

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) أخرجه: ابن خزيمة (١٨٨٧).

(٢) "لطائف المعارف" (ص ٣٧٣ - ٣٧٦).

﴿الفوائد والأحكام المتعلقة بالصيام والقرآن من كتب الحافظ ابن رجب –رحمه الله–﴾

١– وقد جاء في حديث الرجل من بني سُليم، عن النَّبيِّ ﷺ: أنَّ الصوم نصفُ الصبر، وربما عُسر الوقوف على سرِّ كونه نصفَ الصبر أكثر من عُسر الوقوف على سرِّ كونِ الطهور شطر الإيمان، والله أعلم.

"جامع العلوم والحكم" (١/٦٩٣)

٢– وقوله: «**الصومُ جنَّة**» هذا الكلام ثابتٌ عن النَّبيِّ ﷺ من وجُوهٍ كثيرةٍ، وخرَّجاه في الصحيحين من حديث أبي هريرة، عن النَّبيِّ ﷺ، وخرَّجه الإمام أحمد بزيادة، وهي: «**الصِّيام جنَّةٌ وحِصْنٌ حصينٌ مِنَ النَّار**».

فالجُنَّة: هي ما يستجنُّ بها العبد، كالمجنِّ الذي يقيه عندَ القتالِ من الضَّرب، فكذلك الصيام يقي صاحبه منَ المعاصي في الدُّنيا، كما قال عز وجل: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾[البقرة:١٨٣]، فإذا كان له جُنَّةٌ من المعاصي، كان له في الآخرة جُنَّةٌ من النار، وإنْ لم يكن له جُنَّةٌ في الدنيا من المعاصي، لم يكن له جُنَّةٌ في الآخرة من النار.

"جامع العلوم والحكم" (٢/١٠٨)

٣– وقد كان كثيرٌ من السَّلف لهم مِن القُوَّة على ترك الطعام والشراب ما ليس لغيرهم، ولا يتضرَّرونَ بذلك.

وكان ابنُ الزبير يُواصل ثمانية أيام.

وكان أبو الجوزاء يُواصل في صومه بين سبعة أيام، ثم يَقبِضُ على ذراع الشاب فيكَادُ يَحطِمُها.

وكان إبراهيم التيمي يمكث شهرين لا يأكلُ شيئًا غير أنَّه يشرب شربة حلوى.

وكان حجاج ابنُ فرافصة يبقي أكثر من عشرة أيام لا يأكل ولا يشرب ولا ينام، وكان بعضهم لا يُبالي بالحرِّ ولا بالبرد كما كان عليٌّ –رضي الله عنه– يلبس لباس الصَّيف في الشتاء ولباس الشتاء في الصيف، وكان النَّبيُّ ﷺ دعا له أنْ يُذهب الله عنه الحرَّ والبرد.

فمن كان له قوَّةٌ على مثل هذه الأمور، فعمل بمقتضى قوَّته ولم يُضعفه عن طاعة الله، فلا حرج عليه، ومن كلَّفَ نفسه ذلك حتى أضعفها عن بعض الواجبات، فإنَّه يُنكر عليه ذلك، وكان السَّلف يُنكرون على عبد الرحمان بن أبي نُعم، حيث كان يترك الأكل مدة حتى يُعاد من ضعفه.

"جامع العلوم والحكم" (٢/٦٣٠-٦٣١)

٤- ومن أعظم ما يُتقرَّب به العبد إلى الله تعالى مِنَ النَّوافل: كثرة تلاوة القرآن، وسماعهُ بتفكُّر وتدبُّرٍ وتفهُّمٍ. قال خباب بن الأرت لرجل: تقرَّب إلى الله ما استطعتَ، واعلم أنَّك لن تتقرب إليه بشيءٍ هو أحبُّ إليه من كلامه.

لا شيءَ عند المحبين أحلى من كلام محبوبهم، فهو لذَّةُ قلوبهم، وغايةُ مطلوبهم.

قال عثمان: لو طَهُرَتْ قلوبُكم ما شبعتُم من كلام ربكم.

وقال ابنُ مسعود: من أحبَّ القرآن فهو يُحب الله ورسوله.

"جامع العلوم والحكم" (٢/٤٠٠-٤٠١)

٥- قال الحسنُ: العلم علمان: علمٌ على اللسان، فذاك حُجَّة الله على ابن آدم، وعلم في القلب، فذاك العلم النافع.

القسم الثاني: العلمُ الذي على اللِّسَانِ، وهو حجَّةُ الله كما في الحديث:

«القرآن حجة لك أو عليك»، فأوَّلُ ما يُرفعُ مِنَ العلم، العلمُ النَّافع، وهو العلم الباطنُ الذي يُخالِطُ القلوبَ ويُصلحها، ويبقى علمُ اللِّسان حجَّةً، فيتهاونُ الناسُ به، ولا يعملون بمقتضاه، لا حملتُه ولا غيرهم، ثم يذهبُ هذا العلم بذهاب حَمَلتِه، فلا يبقى إلا القرآن في المصاحف، وليس ثَمَّ من يعلمُ معانيه، ولا حدوده، ولا أحكامه، ثمَّ يسرى به في آخر الزمان، فلا يبقى في المصاحف ولا في القُلوب منه شيءٌ بالكلِّيَّةِ، وبعد ذلك تقومُ السَّاعة.

"جامع العلوم والحكم" (٢/٣٣٨)

٦- قوله ﷺ: **«وما جلس قومٌ في بيتٍ من بيوتِ الله، يتلونَ كتابَ الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهمُ السَّكينةُ، وغشيتهُم الرَّحمة، وحفَّتهم الملائكةُ، وذكرهمُ اللهُ فيمن عنده»**. هذا يدلُّ على استحباب الجلوس في المساجد لتلاوة القرآن ومدارسته. وهذا إن حُمِل على تعلم القرآن وتعليمه،

فلا خلاف في استحبابه، وفي صحيح البخاري عن عثمان، عن النَّبيِّ ﷺ، قال: «**خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه**». قال أبو عبد الرحمن السلمي: فذاك الذي أقعدني مقعدي هذا، وكان قد علم القرآن في زمن عثمان بن عفان حتى بلغ الحجَّاجَ بن يوسف.

وإن حمل على ما هو أعمُّ مِنْ ذلك، دخل فيه الاجتماعُ في المساجد على دراسة القرآن مطلقًا.

"جامع العلوم والحكم" (٢/٣٣٨-٣٣٩)

٧- وسئلت عائشةُ عن خُلُقِ رسول الله ﷺ، فقالت: كان خُلُقُه القُرآن.

تعني: أنَّه كان تأدَّب بآدابه، وتخلَّق بأخلاقه، فما مدحه القرآن، كان فيه رضاه، وما ذمه القرآنُ، كان فيه سخطه، وجاء في رواية عنها، قالت: كان خُلُقُه القُرآن يَرضى لِرضاه ويَسخَطُ لسخطه .

"جامع العلوم والحكم" (١/٤٦٢)

٨- وقد أجمعت الأمة على أن الحائض لا تصوم في أيام حيضها، وأن صومها غير صحيح ولا معتد بهِ، وأن عليها قضاء الصوم إذا طهرت.

"فتح الباري" (١/٣٧٠)

٩- واختلف المتكلمون في أصول الفقه: هل هي مكلفة بالصوم في حال حيضها، أم لا تؤمر بهِ إلا بعد طهرها؟

وقال كثير مِن الفقهاء: أنَّهُ لا تظهر لهذا الاختلاف فائدة.

وقد تظهر لَهُ فائدة، وهي: أن الحائض إذا ماتت قبل انقطاع دمها، فهل يجب أن يطعم عنها لكل يوم أفطرت فيهِ؟ وكذا المريض والمسافر إذا ماتا قبل زوال عذرهما، على قول مِن أوجب الإطعام عَن الميت مطلقًا وإن مات قبل التمكن مِن الصوم.

"فتح الباري" (١/٣٧٠)

١٠- وإذا انقطع دم الحائض؛ فالجمهور على أن حكمها حكم الجنب؛ يصح صومها، والمخالف في صوم الجنب يخالف في الحائض بطريق الأولى.

ومن الناس مِن قالَ في الحائض: لا يصح صيامها حتى تغتسل؛ وإن صح صوم الجنب. وحكي عَن الأوزاعي، والحسن بنِ صالح، والعنبري، وعبد الملك بنِ الماجشون وغيرهم.

وقد حكاه بعض أصحابنا المتأخرين وجهًا في الحائض إذا انقطع دمها: أنَّهُ لا يصح صومها، ولم يحك مثله في الجنب.

ووجه الفرق: أن حدث الحيض مانع مِن صحة الصيام؛ بخلاف الجنابة، فإنه لو احتلم الصائم لَمَ يبطل صيامه، ولو طرأ الحيض في أثناء النهار بطل الصوم.

"فتح الباري" (١/٣٧١)

١١- وقد فرق كثير مِن الفقهاء مِن أصحابنا وأصحاب الشافعي بين قضاء الصوم والصلاة، بأن الصلاة تتكرر كل يوم وليلة خمس مرات، والحيض لا يخلو منهُ كل شهر -غالبًا-، فلو أمرت الحائض بقضاء الصلاة معَ أمرها بأداء الصلاة في أيام طهرها لشق ذَلِكَ عليها، بخلاف الصيام؛ فإنه إنما يجيء مرةً واحدةً في السنة، فلا يشق قضاؤه.

ومنهم مِن قالَ: جنس الصلاة يتكرر في كل يوم مِن أيام الطهر، فيغني ذَلِكَ عَن قضاء ما تركته منها في الحيض، بخلاف صيام رمضان؛ فإنه شهر واحد في السنة لا يتكرر فيها، فإذا طهرت الحائض أمرت بقضاء ما تركته أيام حيضها؛ لتأتي بتمام عدته المفروضة في السنة، كَما يؤمر بذلك مِن أفطر لسفر أو مرض.

"فتح الباري" (١/٤٣٤)

١٢- وخرج مسلم حديث سلمة، ولفظه: كان النبي ﷺ يصلي المغرب إذا غربت الشمس وتوارت بالحجاب.

وخرجه أبو داود، ولفظه: كان يصلي ساعة تغرب الشمس، إذا غاب حاجبها.

وهذا الحديث والذي قبله يدلان على أن مجرد غيبوبة القرص يدخل به وقت صلاة المغرب، كما يفطر الصائم بذلك، وهذا إجماع من أهل العلم -: حكاه ابن المنذر وغيره.

قال أصحابنا والشافعية وغيره: ولا عبرة ببقاء الحمرة الشديدة في السماء بعد سقوط قرص الشمس وغيبوبته عن الأبصار.

ومنهم من حكى رواية عن أحمد باعتبار غيبوبة هذه الحمرة، وبه قال الماوردي من الشافعية. ولا يصح ذلك.

وأما إن بقي شيء من شعاعها على الجدران أو تلك الجبال فلابد من ذهابه.

وحكى الطحاوي عن قوم، أنهم اعتبروا مع مغيب الشمس طلوع النجم، ولم يسمهم.

والظاهر: أنه قول طائفة من أهل البدع كالروافض ونحوهم، ولم يقل أحد من العلماء المعتد بهم.

"فتح الباري" (١٢٦/٣)

١٣- وقد روي عن ابن عباس وغيره من السلف تلازم وقت صلاة الفجر وتحريم الطعام على الصائم.

وروي في حديث ابن عباس المرفوع، أن جبريل صلى بالنبي ﷺ في اليوم الأول حين حرم الطعام على الصائم.

"فتح الباري" (١٧١/٣)

١٤- ونفي القبول لا يستلزم نفي الصحة بالكلية، وقد سبق ذكر ذلك غير مرة.

ويدل على ذلك: أن في تمام الحديث الذي خرجه الإمام أحمد: (من أدرك رمضان، وعليه من رمضان شيء لم يقضه لم يتقبل منه)، ومعلوم أنه يلزمه قضاؤه بعد رمضان مع الإطعام.

ولا يعلم في لزوم القضاء خلاف، إلا عن ابن عمر من وجه فيه ضعف، والخلاف مشهور في وجوب الإطعام مع القضاء.

"فتح الباري" (٢٨٠/٣)

١٥- وقد اختلف العلماء فيمن عليه قضاء رمضان: هل يجوز له أن يتنفل بالصيام قبل القضاء، أم لا؟ فيه قولان معروفان، هما روايتان عن أحمد.

وأكثر العلماء على جوازه، وروي عن طائفة من السلف المنع منه.

وقال هشام بن عروة، عن أبيه: مثل الذي يتطوع بالصوم وعليه قضاء رمضان، كمثل الذي يسبح وهو يخاف أن تفوته المكتوبة.

وكذلك لو كان عليه صلاة فائتة، فتطوع قبل قضائها، فإن كان التطوع بسنتها الراتبة، فهو جائز، بل يستحب عند جمهور العلماء، خلافًا لمالك، وقد سبق ذلك، وإن كان تطوعًا مطلقًا، فقال أصحابنا:

لا يجوز؛ لأن القضاء عندهم على الفور، بخلاف قضاء رمضان؛ فإنه على التراخي حتى يتضايق وقته في شعبان.

"فتح الباري" (٣/٢٨٠-٢٨١)

١٦- فأما قصر الصلاة في حال الخوف في الحضر، فالجمهور على منعه. وحكى القاضي أبو يعلى رواية عن أحمد بجوازه، مخرجة عن رواية حنبل عنه، بجواز الفطر في رمضان لقتال العدو.

"فتح الباري" (٦/٣٨)

١٧- ولأصحابنا وجهان فيمن أكل في الصيام ما لا يعتقد أنه يفطره، هل يفطر به، أم لا؟ وهو أيضًا جاهل.

ولهم وجهان فيمن أكل ناسيا، فظن أنه أفطر، وأنه لا يلزمه الإمساك، ثُمَّ جامع، هل عليه كفارة بجماعه، أم لا؟

وحكى ابن المنذر، أنه لا كفارة عليهِ عندَ جمهور العلماء؛ لأنه لم يتعمد إفساد الصوم.

وللشافعية فيهِ وجهان أيضًا.

وكلامهم يدل على أنه يفطر بذلك؛ فإن الجهل لا يعذر به في الصوم، ويعذر به في الصَّلاة، فإذا سلم من صلاته، يظن أنها تمت، ثُمَّ علم أنها لم تتم، وظن أن صلاته بطلت، فتكلم، فهوَ كالجاهل.

"فتح الباري" (٦/٣٦٢)

١٨- واختلفت الرواية عن أحمد في التعقيب في رمضان، وهو: أن يقوموا في جماعة في المسجد، ثم يخرجون منه، ثم يعودون إليه فيصلون جماعة في آخر الليل.

وبهذا فسره أبو بكر عبد العزيز بن جعفر وغيره من أصحابنا. فنقل المروذي وغيره، عنه: لا بأس به، وقد روي عن أنس فيه.

ونقل عنه ابن الحكم، قالَ: أكرهه، أنس يروى عنه أنه كرهه، ويروى عن أبي مجلز وغيره أنهم كرهوه، ولكن يؤخرون القيام إلى آخر الليل، كما قال عمر.

قال أبو بكر عبد العزيز: قول محمد بن الحكم قول له قديم، والعمل على ما روى الجماعة، أنه لا بأس به. انتهى.

وقال الثوري: التعقيب محدث.

ومن أصحابنا من جزم بكراهيته، إلا أن يكون بعد رقدة، أو يؤخره إلى بعد نصف الليل، وشرطوا: أن يكون قد اوتروا جماعة في قيامهم الأول، وهذا قول ابن حامد والقاضي وأصحابه. ولم يشترط أحمد ذلك.

وأكثر الفقهاء على أنه لا يكره بحالٍ.

وكره الحسن أن يأمر الإمام الناس بالتعقيب؛ لما فيهِ من المشقة عليهم، وقال: من كانَ فيهِ قوة فليجعلها على نفسه، ولا يجعلها على الناس.

وهذه الكراهة لمعنى آخر غير الصلاة بعد الوتر.

ونقل ابن المنصور، عن إسحاق بن راهويه، أنه إن أتم الإمام التراويح في أول الليل كره له أن يصلي بهم في آخره جماعة أخرى؛ لما روي عن أنس وسعيد بن جبير من كراهته. وإن لم يتم بهم في أول الليل وآخر تمامها إلى آخر الليل لم يكره.

"فتح الباري" (٦/١٩٩-٢٠٠)

١٩- وقد اختلف الفقهاء في حمل المحدِث المصحف بعلاقة: هل هوَ جائز، أم لا؟ وفيه قولان مشهوران:

وممن رخص في ذَلِكَ: عطاء والحسن والأوزاعي والثوري، وكرهه مالك، وحرمه اصحاب الشَافِعي، وعن أحمد روايتان، ومن أصحابنا مِن جزم بجوازه مِن غير خلاف حكاه.

وأصل هَذهِ المسألة: منع المحدث مِن مس المصحف، وسواء كانَ حدثه حدثًا أكبر، وَهوَ مِن يجب عليهِ الغسل، أو أصغر، وَهوَ مِن يجب عليهِ الوضوء.

هَذا قول جماهير العلماء، وروي ذَلِكَ عَن علي وسعد وابن عمر وسلمان، ولا يعرف لَهُم مخالف مِن الصحابة، وفيه أحاديث عَن النبي ﷺ متصلة ومرسلة.

وخالف في ذَلِكَ أهل الظاهر.

وأجاز الحكم وحماد للمحدث مسه بظهر الكف دونَ بطنه.

وعن الحسن، قالَ: لا بأس أن يأخذ المصحف غير المتوضئ فيضعه مِن مكان إلى مكان.

وعن سعيد بنِ جبير، أنَّهُ بال، ثُمَّ غسل وجهه ويديه، ثُمَّ أخذ المصحف فقرأ فيهِ. رواهما عبد الرزاق.

وعن الشعبي، قالَ: مس المصحف مالم تكن جنبًا. ذكره وكيع.

وأما الاستدلال بقولِهِ عز وجل: ﴿لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾[الواقعة:٧٩] ففيه كلام ليسَ هَذا موضعه. والله أعلم.

"فتح الباري" (٣/٣٥٦)

٢٠- وإن عدم الماء وتيمم، فله مس المصحف عندنا الشافعية والأكثرين، خلافًا للأوزاعي.

"فتح الباري" (١/٣٥٧)

٢١- وحكي جواز القراءة للجنب والحائض عن طائفة من أهل الحديث، منهم: ابن المنذر، والطحاوي.

وأما من رخص للجنب في قراءة الآية، فقد حكاه البخاري عن النخعي في الحائض.

وفي كتاب ابن أبي شيبة عن النخعي: أن الحائض والجنب لا يتم الآية.

وروى أبو حنيفة، عن حماد، عن إبراهيم في الجنب: لا بأس أن يقرأ الآية. قال أبو حنيفة: والحائض مثله.

وحكى رواية عن أحمد بجواز قراءة الآية، وهي مخرجة من كلامه، ليست منصوصة عنه، وفي صحة تخريجها نظر.

وروي عن طائفة الرخصة في قراءة الآية والآيتين، روي عن سعيد بن جبير، وعبد الله بن مغفل، وعكرمة.

وروي عن عكرمة: لا بأس للجنب أن يقرأ؛ ما لم يقرأ السورة.

ومنهم من رخص في قراءة ما دون الآية، وهو مروي عن جابر بن زيد، وعطاء، وسعيد بن جبير، والنخعي، والثوري، ورواية عن أحمد، وإسحاق، وحكي عن الطحاوي.

ومنع الأكثرون الحائض والجنب من القراءة بكل حال، قليلًا كانَ أو كثيرًا، وهذا مروي عن أكثر الصحابة، روي عن عمر، وروي عنه أنه قالَ: لو أن جنبًا قرأ القرآن لضربته.

وعن علي، قالَ: لا يقرأ ولا حرفًا.

وعن ابن مسعود، وسليمان، وابن عمر.

وروي عن جابرٍ، قالَ البيهقي: وليس بقوي.

وروي عن ابن عباس بإسناد لا يصح.

وهو قول أكثر التابعين، ومذهب الثوري، والأوزاعي، وابن المبارك، وأبي حنيفة، والشافعي، وأحمد وإسحاق -في احدى الروايتين عنهما-، وأبي ثور وغيرهم.

وهو قول مالكٍ في الجنب، إلا أنه رخص لهُ في قراءة آيتين وثلاث عندَ المنام للتعوذ.

ورخص الأوزاعي لهُ في تلاوة آيات الدعاء والتعوذ، تعوذًا لا قراءة.

وهذا أصح الوجهين للشافعية أيضًا.

وقال سعيد بن عبد العزيز: رخص للحائض والجنب في قراءة آيتين عندَ الركوب والنزول: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا﴾ الآية [الزخرف:١٣]، و﴿رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا﴾ [المؤمنون:٢٩] الآية.

وعن مالك في الحائض روايتان إحداهما: هي كالجنب، والثانية: أنها تقرأ.

"فتح الباري" (١/٣٧٥-٣٧٦)

٢٢- وفي نهي الحائض والجنب عن القراءة أحاديث مرفوعة، إلا أن أسانيدها غير قوية، كذا قالَ الإمام أحمد في قراءة الحائض، وكأنه يشير إلى أن الرواية في الجنب أقوى، وهو كذلك.

وأقوى ما في الجنب: حديث عبد الله بن سلمة، عن علي، قالَ: كانَ رسول الله ﷺ يخرج من الخلاء فيقرئنا القرآن، ويأكل معنا اللحم، ولم يكن يحجبه -أو يحجزه- عن القرآن شيء، ليس الجنابة.

خرجه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه، وخرجه الترمذي بمعناه، وقال: حسن صحيح، وخرجه ابن خزيمة وابن حبان في (صحيحيهما) والحاكم، وقال صحيح الإسناد.

وتكلم فيهِ الشافعي وغيره؛ فإن عبد الله بن سلمة هذا رواه بعدما كبر، قالَ شعبة عنه: كانَ يحدثنا، فكنا نعرف وننكر، وقال البخاري: لا يتابع في حديثه، ووثقه العجلي ويعقوب بن شيبة، وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به.

والاعتماد في المنع على ما روي عن الصحابة، ويعضده: قول عائشة وميمونة في قراءة النبي ﷺ القرآن في حجرهما في حال الحيض؛ فإن يدل على أن للحيض تأثيرًا في منع القراءة.

"فتح الباري" (٣٧٧/١)

٢٣- وقد اختلف العلماء في تمكين الكافر من تلاوة القرآن، فرخص فيهِ الحسن وأبو حنيفة وغيرهما، ومنهم من منع منه، وهو قول أبي عبيد وغيره.

واختلف أصحابنا في ذَلِكَ، فمنهم من منعه مطلقًا، ومنهم من رخص فيهِ مطلقًا، ومنهم من جوزه إذا رجي من حال الكافر الاستهداء والاستبصار، ومنعه إذا لم يرج ذَلِكَ.

والمنقول عن أحمد أنه كرهه.

وقال أصحاب الشافعي: إن لم يرج له الاستهداء بالقراءة منع منها، وإن رجي لهُ ذَلِكَ لم يمنع، على أصح الوجهين.

"فتح الباري" (٣٧٨/١)

٢٤- وقد كره الامام أحمد أن يؤذن الجنب، وعلل بأن في الأذان كلمات من القرآن.

والظاهر: أن هذا على كراهة التنزيه دون التحريم.

ومن الأصحاب من حملة على التحريم، وفيه نظر؛ فان الجنب لا يمنع من قول: "سبحان الله، والحمد الله، ولا قوة الا بالله، والله أكبر" على وجه الذكر، دون التلاوة.

وسئل إسحاق عن الجنب يجيب المؤذن؟ قال: نعم؛ لأنه ليس يقرآن.

"فتح الباري" (٣٥٧/٣)

٢٥- قال البخاري: "وقرأ الأحنف الكهف في الأولى، وفي الثانية بيوسف أو يونس، وذكر أنه صلى مع عمر الصبح بهما".

هذا يدل على أنه لا يكره قراءة القرآن على غير ترتيب المصحف، فيقرأ في الركعة الأولى سورة، وفي الثانية بسورة قبلها في ترتيب المصحف.

وقد روي هذا عن عمر من وجه آخر، وعن أنس:

وروى وكيع بإسناده، عن عمرو بن ميمون، قال: أمنا عمر في المغرب فقرأ بالتين في الركعة الأولى، ثم قرأ ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾، ثم قرأ في الثانية ﴿ألم تر﴾ و﴿لإيلاف﴾.

وفي هذا جمع بين سورتين في الركعة أيضًا.

وروى عن أنس، أنه قرأ في صلاة المغرب في أول الركعة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.

وقد روي مثل هذا من حديث ابن عمر مرفوعًا.

خرجه حرب الكرماني.

ولا يصح إسناده.

والأكثرون على أن ذلك غير مكروه. وعن أحمد رواية أنه يكره تعمد ذلك؛ لمخالفته ترتيب المصحف.

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قرأ في قيامه من الليل سورة البقرة، ثم النساء، ثم آل عمران.

وترتيب سور المصحف على هذا الترتيب ليس توقيفًا على الصحيح، بل هو أمر اجتهد فيه عثمان مع الصحابة، وحديث سؤال ابن عباس لعثمان المشار إليه فيما سبق يدل عليه.

"فتح الباري" (٤/٣٦٧-٣٦٨)

٢٦- والقرآن: ينقسم إلى السبع الطوال، وهي: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس، كذا قاله ابن عباس وسعيد بن جبير وغيرهما. وإلى المئين، وهي ما كان من السور وعدد آياته مائة آية، أو يزيد، أو ينقص شيئا. وإلى المفصَّل، وأوله الحجرات على الأشهر والمثاني، وهو ما عدا ذلك.

وقد سأل ابن عباس عثمان، فقال: ما حملكم على أن عمدتم إلى (براءة) -وهي من المئين- وإلى الأنفال -وهي من المثاني- فجعلتموها في السبع الطوال، وذكر الحديث.

خرجه أبو داود والنسائي والترمذي وحسنه.

وفي المسند عن واثلة بن الأسقع مرفوعًا: «**أعطيت مكان التوراة السبع الطول، وأعطيت مكان الزبور المئين، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني وفضلت بالمفصل**».

"فتح الباري" (٤/٣٦٦)

٢٧- قال البخاري: وقال قتادة فيمن يقرأ سورة واحدة في الركعتين، أو يردد سورة واحدة في ركعتين: كل كتاب الله عز وجل .

أما قراءة سورة يقسمها في ركعتين فغير مكروه، وقد فعله أبو بكر وعمر وغيرهما، وقد سبق ذكره. وكذلك ترداد السورة في الركعتين كلتيهما، قد سبق حديث الرجل الجهيني أنه سمع النبي ﷺ قرأ في الصبح ﴿إذا زلزلت الأرض﴾[الزلزلة:١] في الركعتين كلتيهما، قال: فلا أدري أنسي رسول الله ﷺ، أم قرأ ذلك عمدًا؟ خرجه أبو داود.

ونص أحمد على أنه جائز في الفرض من غير كراهة.

"فتح الباري" (٣٦٩/٤)

٢٨- (القاعدة السادسة)

إذا فعل عبادة في وقت وجوبها يظن أنها الواجبة عليه، ثم تبين بأخرة أن الواجب كان غيره؛ فإنه يجزئه.

ولذلك صور:

منها: إذا كفر العاجز عن الصيام بالإطعام للإياس من برئه، ثم عوفي؛ فإنه لا يلزمه قضاء الصوم.

"تقرير القواعد" (٣٧/١)

٢٩- (القاعدة الثامنة)

من قدر على بعض العبادة وعجز عن باقيها؛ هل يلزمه الإتيان بما قدر عليه منها أم لا؟ هذه أقسام:

القسم الثالث: ما هو جزء من العبادة وليس بعبادة في نفسه بانفراده، أو هو غير مأمور به لضرورة:

فالأول: كصوم بعض اليوم لمن قدر عليه وعجز عن إتمامه؛ فلا يلزمه بغير خلاف.

"تقرير القواعد" (٤٥/١)

٣٠- (القاعدة الحادية عشرة)

من عليه فرض؛ هل له أن يتنفل قبل أدائه بجنسه أم لا؟

هذا نوعان:

أحدهما: العبادات المحضة؛ فإن كانت موسعة؛ جاز التنفل قبل أدائها؛ كالصلاة بالاتفاق، وقبل قضائها أيضًا؛ كقضاء رمضان على الأصح.

"تقرير القواعد" (٦٦/١)

٣١- إذا نذر صوم شهر يقدم فيه فلان، فقدم في أول رمضان؛ فهل يجزئه رمضان عن فرضه ونذره؟ على روايتين:

أشهرهما عند الأصحاب: لا يجزئه عنهما.

والثانية: يجزئه عنهما، نقلها المروذي، وصرح بها الخرقي في «كتابه»، وحملها المتأخرون على أن نذره لم ينعقد لمصادفته رمضان، ولا يخفى فساد هذا التأويل.

وعلى رواية الإجزاء؛ فقال صاحب المغني: لا بد أن ينويه عن فرضه ونذره، وقال الشيخ مجد الدين: لا يحتاج إلى نية النذر، قال: وهو ظاهر كلام أحمد والخرقي؛ لأنا نقدره كأنه نذر هذا القدر منجزًا عند القدوم؛ فجعله كالناذر لصوم رمضان لجهة الفرضية.

وفيه بعد، ولو نذر صوم شهر مطلق فصام رمضان ينويه عنهما؛ فإنه يخرج على مسألة الحج، ذكره ابن الزاغوني وغيره.

"تقرير القواعد" (١٤٨/١)

٣٢- (القاعدة التاسعة عشرة)

إمكان الأداء ليس بشرط في استقرار الواجبات بالشرع في الذمة على ظاهر المذهب.

ومنها: الصيام، فإذا بلغ الصبي مفطرًا في أثناء يوم من رمضان، أو أسلم فيه كافر، أو طهرت حائض؛ لزمهم القضاء في أصح الروايتين.

وأما قضاء العبادات؛ فاعتبر الأصحاب له إمكان الأداء، فقالوا فيمن أخر قضاء رمضان لعذر ثم مات قبل زواله: إنه لا يُطْعم عنه، وإن مات بعد زواله والتمكن من القضاء؛ أطعم عنه.

وأما قضاء المنذورات؛ ففي اشتراط التمكن من الأداء وجهان، فلو نذر صيامًا أو حجًّا، ثم مات قبل التمكن منه؛ فهل يقضي عنه؟ على الوجهين.

وعلى القول بالقضاء؛ فهل يقضي الصيام الفائت بالمرض خاصة أو الفائت بالمرض والموت؟

أيضًا على وجهين.

"تقرير القواعد" (١/١٦١-١٦٢-١٦٣)

٣٣- (القاعدة السابعة والعشرون)

من أتلف نفسًا أو أفسد عبادة لنفع يعود إلى نفسه؛ فلا ضمان عليه، وإن كان النفع يعود إلى غيره؛ فعليه الضمان.

- فمن ذلك: الحامل والمرضع إذا أفطرتا خوفًا على أنفسهما؛ فلا فدية عليهما، وإن أفطرتا خوفًا على ولديهما؛ فعليهما الفدية في المشهور عند الأصحاب.

- ومنه: لو نجَّى غريقًا في رمضان، فدخل الماء في حلقه، وقلنا: يفطر به؛ فعليه الفدية، وإن حصل له بسبب إنقاذه ضعف في نفسه فأفطر؛ فلا فدية عليه؛ كالمريض في قياس المسألة التي قبلها، أفتى بذلك ابن الزاغوني، وفي (التلخيص) بعد أن ذكر الفدية على الحامل والمرضع للخوف على جنينيهما، وهل يلحق بذلك من افتقر إلى الافطار لإنقاذ غريق؛ يحتمل وجهين.

"تقرير القواعد" (١/٢٠٩-٢١٠)

٣٤- إذا جامع في ليل رمضان، فأدركه الفجر وهو مجامع، فنزع في الحال؛ فالمذهب أنه يفطر بذلك، وفي الكفارة روايتان، واختار أبو حفص: أنه لا يفطر، ولا خلاف في أنه لا يأثم إذا كان حال الابتداء متيقنًا لبقاء الليل.

وبنى بعض الأصحاب المسألة على أصل آخر، وهو أن النزع هل هو جزء من الجماع أو ليس من الجماع؟ وحكوا في المسألة روايتين، واختار الشيخ تقي الدين: أنه لا يفطر بالنزع في هذه الحالة ولا بالأكل ولا بغيره بناءً على أنه إنما يتعلق به حكم وجوب الإمساك عن المفطرات بعد العلم بطلوع الفجر؛ فلا يكون الواقع منها في حالة الطلوع مُحَرَّمًا ألبتة، كما قلنا في محظورات الإحرام: إنها إنما تثبت بعد التلبس به، وقد روي عن أحمد ما يدل على ذلك، فإنه قال: إذا شك في طلوع الفجر؛ فإنه يأكل حتى لا يشك أنه طلع، وفي المسألة أحاديث وآثار كثيرة تدل على ذلك، والله أعلم.

"تقرير القواعد" (١/٤٧٧-٤٧٥)

٣٥- (القاعدة الثامنة والستون)

إيقاع العبادات أو العقود أو غيرهما مع الشك في شرط صحتها؛ هل يجعلها كالمعلقة على تحقق ذلك الشرط أم لا؟

وهي نوعان:

أحدهما: ما يشترط فيه النية الجازمة، فلا يصح إيقاعه بهذا التردد

ما لم يكن الشك غلبة ظن يكفي مثله في إيقاع العبادة أو العقد كغلبة الظن بدخول الوقت وطهارة الماء والثوب ونحو ذلك.

ومن أمثلة ذلك:

إذا نوى ليلة الشك إن كان غدًا من رمضان؛ فهو فرضي، وإلا؛ فهو نفل، فهل يجزئه عن رمضان إن وافق؟ ينبني على أن نية التعيين؛ هل تشترط لرمضان؟

فإن قلنا: تشترط، وهو المشهور في المذهب، لم يُجْزِئْهُ لأنه لم يجزم بالتعيين، ولم يبن على أصل مستصحب يجوز الصيام فيه، بخلاف مسألة الزكاة، وهذا بخلاف ما لو نوى ليلة الثلاثين من رمضان إن كان غدًا من رمضان، فأنا صائم عنه، وإلا فأنا مفطر؛ فإنه يصح صيامه في أصح الوجهين؛ لأنه بنى على أصل لم يثبت زواله ولا يقدح تردده لأنه حكم صومه مع الجزم.

والثاني: وهو قول أبي بكر: لا يجزئه للتردد، ونقل صالح عن أبيه أنه يجزئه النية المترددة مع الغيم دون الصحو؛ لأن الصوم مع الغيم لا يخلو من تردد ينافي الجزم، فإذا تردد في النية؛ فقد نوى حكم الصوم معه، فلا يضره، بخلاف حالة الصحو؛ فإنه لا يحتاج فيها إلى التردد.

"تقرير القواعد" (٢/١١-١٢-١٤)

٣٦- (القاعدة الثانية عشر بعد المئة)

إذا اجتمع للمضطر محرمان، كل منهما لا يباح بدون الضرورة؛ وجب تقديم أخفهما مفسدة وأقلهما ضررًا؛ لأن الزيادة لا ضرورة إليها؛ فلا تباح؟

ويتخرج على ذلك مسائل:

ومنها: من أبيح له الفطر لشبقه، ولم يمكنه الاستمناء، واضطر إلى الجماع في الفرج؛ فله فعله، فإن وجد زوجة مكلفة صائمة وأخرى حائضة؛ ففي احتمالان ذكرهما صاحب (المغني):

أحدهما: وطء الصائمة أولى لأن أكثر ما فيه أنها تفطر لضرر غيرها، وذلك جائز؛ كفطرها لأجل الولد، وأما وطء الحائض؛ فلم يعهد في الشرع جوازه؛ فإنه حرم للأذى ولا يزول الأذى بالحاجة إليه.

والثاني: يخير لتعارض مفسدة وطء الحائض من غير إفساد عبادة عليها وإفساد صوم الطاهرة.

والأول هو الصحيح؛ لما ذكرنا من إباحة الفطر لأسباب دون وطء الحائض.

"تقرير القواعد" (٢/٤٦٣-٤٦٧)

٣٧- العبادات التي يكتفى بحصول بعض شرائطها في أثناء وقتها إذا وجد الشرط في أثنائها؛ فهل يحكم لها بحكم ما اجتمعت شرائطه من ابتدائها أم لا؟

فيه خلاف أيضًا، وينبني عليه مسائل:

- منها: إذا نوى الصائم المتطوع الصوم من أثناء النهار؛ فهل يحكم له بحكم الصيام من أوله، أو من حين نواه فلا يثاب على صومه إلا من حين النية؟

على وجهين، والثاني ظاهر كلام أحمد.

"تقرير القواعد" (٢/٥٣٢-٥٣٣)

٣٨- (القاعدة الثالثة والعشرون بعد المئة)

ويخص العموم بالشرع أيضًا على الصحيح.

في مسائل:

- منها: إذا نذر صوم الدهر؛ لم يدخل في ذلك ما يحرم صومه من أيام السنة أو ما يجب صومه شرعًا؛ كرمضان على أصح الروايتين.

- ومنها: لو نذر اعتكاف شهر متتابع؛ فله أن يعتكف في غير الجامع، ويخرج إلى الجمعة؛ لاستثنائها بالشرع، وفيه وجه لا يجوز الاعتكاف في غير الجامع، والأول المذهب، كما أنه لا ينقطع الصيام المتتابع بصوم رمضان ولا فطر أيام النهي.

"تقرير القواعد" (٢/٥٧١-٥٧٣)

٣٩- وأما المكرهة على الوطء في الحج والصيام إذا أفسدنا حجَّها وصيامها؛ فهل تجب عليها الكفارة في مالها، أم لا يجب عليها شيء، أو يجب على الزوج أن يتحملها عنها؟

على ثلاث روايات، وتأول بعضهم الأولى على أنها ترجع بها على الزوج.

"تقرير القواعد" (٢/٦٠٥)

٤٠- (القاعدة الثالثة والثلاثون بعد المئة)

يثبت تبعًا ما لا يثبت استقلالًا.

في مسائل:

منها: لو شهد واحد برؤية هلال رمضان، ثم أكملوا العدة ولم يروا الهلال؛ فهل يفطرون أم لا؟

على وجهين:

أشهرهما: لا يفطرون لئلا يؤدي إلى الفطر بقول واحد.

والثاني: بلى! ويثبت الفطر تبعًا للصوم.

ومن الأصحاب من قال: إن كان غيمًا؛ أفطروا، وإلا؛ فلا.

- ومنها: لو أخبر واحد بغروب الشمس؛ جاز الفطر، ومن الأصحاب من اقتضى كلامه حكاية الاتفاق عليه؛ لأن وقت الفطر تابع لوقت صلاة المغرب.

وله مأخذ آخر: وهو أن الغروب عليه أمارات تورث ظنًّا بانفرادها، فإذا انضم إليها قول الثقة؛ قوي، بخلاف الشهادة برؤية هلال الفطر.

- ومنها: صلاة التراويح ليلة الغيم تبعًا للصيام على أحد الوجهين، وذكر القاضي احتمالًا بثبوت سائر الأحكام المعلقة بالشهر من وقوع الطلاق المعلق به وحلول آجال الديون، وهو ضعيف ها هنا.

نعم! إذا شهد واحد برؤية الهلال؛ ثبت به الشهر، وترتبت عليه هذه الأحكام؛ وإن كانت لا تثبت بشهادة واحد ابتداءً، صرح به ابن عقيل في (عمد الأدلة).

"تقرير القواعد" (٣/١٥-١٦)

٤١- (القاعدة الرابعة والثلاثون بعد المئة)

المنع أسهل من الرفع.

ويتخرج على ذلك مسائل كثيرة جدًّا:

منها: السفر قبل الشروع في الصيام يبيح الفطر، ولو سافر في أثناء يوم من رمضان؛ ففي استباحة الفطر روايتان، والإتمام فيه أفضل بكل حال.

ونقل ابن منصور عن أحمد -رضي الله عنه-: إن نوى السفر من الليل ثم سافر في أثناء النهار؛ أفطر، وإن نوى السفر في النهار وسافر فيه؛ فلا يعجبني أن يفطر. والفرق أن نية السفر من الليل تمنع الوجوب إذا وجد السفر في النهار؛ فيكون الصيام قبله مراعًا، بخلاف ما إذا طرأت النية والسفر في أثناء النهار.

"تقرير القواعد" (٣/٢٣-٢٤)

٤٢- ما ترك فيه العمل بالأصل للحجة الشرعية، وهي قول من يجب العمل بقوله، وله صور كثيرة جدًّا:

- منها: شهادة الواحد العدل برؤية هلال رمضان؛ فإنه مقبول على ظاهر المذهب.

وفيه رواية أخرى: إنه لا بد من شهادة عدلين كسائر الشهود.

وفرق أبو بكر بين أن يراه في المصر، فلا يقبل، وبين أن يراه خارجًا من المصر ثم يقدم إلى المصر، فيقبل خبره.

- ومنها: إخبار الثقة بطلوع الفجر في رمضان؛ فإنه يحرم الطعام والشراب والجماع.

- ومنها: إخباره بغروب الشمس في رمضان؛ فإنه يبيح الفطر، صرح به الأصحاب، ولم يجعلوه كالشهادة على هلال شوال، والفرق بينهما من وجهين:

أحدهما: إن وقت الفطر ملازم لوقت صلاة المغرب، فإذا ثبت دخول وقت الصلاة بإخبار الثقة؛ ثبت دخول وقت الإفطار تبعًا له، وقد يثبت تبعًا ما لا يثبت استقلالًا، بخلاف الشهادة بهلال شوال.

والثاني: إن إخبار الثقة هنا تقارنه أمارات تشهد بصدقه؛ لأن وقت الغروب متميز بنفسه وعليه أمارات تورث غلبة الظن، فإذا انضم إليها إخبار الثقة؛ قوي الظن وربما أفاد العلم، بخلاف هلال الفطر؛ فإنه لا أمارة عليه.

وفي (صحيح ابن حبان) من حديث سهل بن سعد؛ قال: كان النبي ﷺ إذا كان صائمًا؛ أمر رجلًا فأوْفَى على شيء، فإذا قال: قد غابت الشمس؛ أفطر. وصح عن ابن عباس -رضي الله عنه-: أنه

كان يضع طعامه عند الفطر في رمضان ويبعث مرتقبًا يرقب الشمس، فإذا قال: قد وجبت؛ قال: كلوا.

"تقرير القواعد" (٣/١٦٣-١٦٤-١٦٥)

٤٣- ما عمل فيه بالأصل ولم يلتفت إلى القرائن الظاهرة ونحوها، وله صور كثيرة:

منها: إذا شك في طلوع الفجر في رمضان؛ فإنه يباح له الأكل حتى يستيقن طلوعه، نص عليه أحمد، ولا عبرة في ذلك بغلبة الظن بالقرائن ونحوها ما لم يكن مستندًا إلى إخبار ثقة بالطلوع.

"تقرير القواعد" (٣/١٦٦-١٦٧)

٤٤- ما عمل فيه بالظاهر ولم يلتفت إلى الأصل، وله صور:

منها: الفطر في الصيام يجوز بغلبة ظن غروب الشمس في ظاهر المذهب، ومن الأصحاب من قال: لا يجوز الفطر إلا مع تيقن الغروب، وبه جزم صاحب «التلخيص»، والأول أصح؛ لأن الوقت عليه أمارات يعرف بها؛ فاكتفي فيه بالظن الغالب، بخلاف ما لا أمارة عليه من إتمام الصلاة والطهارة والحدث ونحوها.

"تقرير القواعد" (٣/١٦٨-١٧١)

٤٥- (القاعدة العاشرة)

الألفاظ المعتبرة في العبادات والمعاملات.

- منها: ما يعتبر لفظه ومعناه، وهو القرآن، لإعجازه بلفظه ومعناه؛ فلا تجوز الترجمة عنه بلغة أخرى.

"تقرير القواعد" (١/٦٤)

٤٦- (القاعدة السابعة عشرة)

إذا تقابل عملان: أحدهما ذو شرف في نفسه ورفعة وهو واحد، والآخر ذو تعدد في نفسه وكثرة؛ فأيهما يرجح؟

ظاهر كلام أحمد ترجيح الكثرة، ولذلك صور:

والثالثة: رجل قرأ بتدبر وتفكر سورة وآخر قرأ في تلك المدة سورًا عديدة سردًا.

قال أحمد في رواية جعفر بن أحمد بن أبي قيماز وقد سئل: أيما أحب إليك: الترسل أو الإسراع؟ قال: أليس قد جاء بكل حرف كذا وكذا حسنة؟ قالوا له: في السرعة؟ قال: إذا صور الحرف بلسانه ولم يسقط من الهجاء. وهذا ظاهر في ترجيح الكثرة على التدبر.

ونقل عنه حرب: أنه كره السرعة؛ إلا أن يكون لسانه كذلك لا يقدر أن يترسل.

وحمل القاضي الكراهة على ما إذا لم يبين الحروف، نقل عنه مثنى بن جامع في رجل أكل فشبع وأكثر الصلاة والصيام، ورجل أقل الأكل فقلت نوافله وكان أكثر فكرة؛ أيهما أفضل؟ فذكر ما جاء في الفكر: تفكر ساعة خير من قيام ليلة. قال: فرأيت هذا عنده أكثر يعني: التفكر، وهذا يدل على تفضيل قراءة التفكر على السرعة. وهو اختيار الشيخ تقي الدين، وهو المنصوص صريحًا عن الصحابة والتابعين.

"تقرير القواعد" (١/١٣٠-١٣٣-١٣٤-١٣٥)

٤٧- (القاعدة التاسعة والتسعون)

ما تدعو الحاجة إلى الانتفاع به من الأموال والأعيان ولا ضرر في بذله؛ لتيسره وكثرة وجوده، أو المنافع المحتاج إليها؛ يجب بذله مجانًا بغير عوض في الأظهر.

ويندرج تحت ذلك مسائل:

ومنها: المصحف تجب عليه إعارته لمن احتاج إلى القراءة فيه، ولم يجد مصحفًا غيره، نقله القاضي في (الجامع الكبير)، وذكر ابن عقيل في كلام مفرد أن الأصحاب عللوا قولهم: لا يقطع بسرقة المصحف؛ لأن له فيه حق النظر لاستخراج أحكام الشرع إذا خفيت عليه، وعلى صاحبه بذله، كذلك قال ابن عقيل، وهذا تعليل يقتضي التسوية بين سرقته وسرقة كتب السنن؛ فإنها مضمنة من الأحكام أمثال ذلك، والحاجة داعية إليها وبذلها للمحاويج إليها من القضاة والحكام وأهل الفتاوى واجب على مالكها. انتهى.

"تقرير القواعد" (٢/٣٨٨-٣٩٠)

٤٨- فحدودُ اللَّه تُطلق ويُراد بها غالبًا ما أذن فيه وأباح؛ فمن تعدَّى هذه الحُدود فقد خرج مما أحلَّه اللَّه إِلَى ما حرَّمه، فلهذا نُهِيَ عن تعدي حُدود الله؛ لأنّ تعديها بهذا المعنى محرَّم.

ويُراد بها تارة ما حرَّمه الله ونهى عنه.

وبهذا المعنى يُقال: لا تقربوا حدود الله؛ كما قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ بعد أنْ نهى عن ارتكاب المفطرات في نهار الصيام، وعن مباشرة النساء في الاعتكاف في المساجد.

فأراد بحدوده هاهنا ما نهى عنه؛ فلذلك نهى عن قُربانه.

"مجموع الرسائل" (١/١٩٨)

٤٩- وكثير من العصاة يترك الشرب في الأيام الفاضلة كرمضان فقط، ومن نيته المعاودة بعد انقضائه، وهذا مدمن ليس بتائب، لا سيما إنَّ عدَّ الأيام، وطال عليه الشهر حتى يعود، ولهذا إذا قرب الشهر جدّ في الشرب ليتودَّع منه، ثم يعاود الشرب عند انقضائه، وأنشد بعضهم:

إذا العشـــرون مـــن شـــعبان ولّـــت ... فواصـــل شـــرب ليلـــك بالنهـــار

ولا تشـــــرب بأقـــــداح صـــــغار ... فـــإن الوقـــت ضـــاق عـــن الصّـــغار

"مجموع الرسائل" (١/٢٨٣)

٥٠- وأما العلم الذي على اللسان فهو حجة الله على ابن آدم. كما قال النبي ﷺ: «**والْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيكَ**» فإذا ذهب من الناس العلم الباطن بقي الظاهر على الألسنة حجة، ثم يذهب هذا العلم الذي هو حجة بذهاب حملته، ولا يبقى من الدين إلا اسمه فيبقى القرآن في المصاحف ثم يسري به في آخر الزمان فلا يبقى منه في المصاحف ولا في القلوب شيء.

"مجموع الرسائل" (١/١٧)

٥١- والمقصود أنَّه لما كانت النفسُ والهوى داعيين إِلَى فتح أبواب المحارم وكشف ستورها وارتكابها، جعل الله -عز وجل- لها داعيين يزجران مَن يُريد ارتكاب المحارم وكشف ستورهما.

أحدُهما: داعي القرآن، وهو الداعي عَلَى رأس الصراط يدعو الناس كلَّهم إِلَى الدخول في الصراط والاستقامة عليه، وأنْ لا يعرجوا عنه يمنة ولا يسرة، ولا يفتحوا شيئًا من تلك الأبواب التي عليها الستور المرخاة؛ قال الله عز وجل حاكيًا عن عباده المؤمنين أنهم قالوا: ﴿**رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا**﴾[آل عمران:١٩٣] والمراد به القرآن عند أكثر السلف.

وقال حاكيًا عن الجن الذين استمعوا القرآن، أنهم لما رجعوا إلَى قومهم قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ * يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾[الأحقاف: ٣٠-٣١].

وقد وصف اللهُ نبيَّه ﷺ بأنَّه يدعو الخلق بالكتاب إلَى الصراط المستقيم؛ كما قال الله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾[إبراهيم: ١].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ﴾[المؤمنون: ٧٣-٧٤].

وقد كان النبيّ ﷺ يدعو الخلق بالقرآن إلَى الدخول في الإسلام الَّذِي هو الصراط المستقيم؛ وبذلك استجاب له خواصُّ المؤمنين كأكابر المهاجرين والأنصار، ولهذا المعنى قال مالك: فُتحت المدينة بالقرآن. يعني: أنَّ أهلها إنَّما دخلوا في الإسلام بسماع القرآن.

كما بعث النبيُّ ﷺ مُصعب بن عمير قبل أنْ يُهاجر إلَى المدينة، فدعا أهلَ المدينة إلَى الإسلام بتلاوة القرآن عليهم، فأسلم كثيرٌ منهم.

قال بعضُ السلف: من لم يردعه القرآنُ والموت، لو تناطحت الجبالُ بين يديه لم يرتدع.

"مجموع الرسائل" (١/٢٠٥-٢٠٦)

٥٢- وقد قبح الله من لا يخشع قلبه لسماع كتابه وتدبره، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[الحديد: ١٦] قال ابن مسعود : ما كان بين إسلامنا وبين أن عوتبنا بهذه الآية إلا أربع سنين خرجه مسلم ، وخرجه غيره وزاد فيه: فجعل المؤمنون يعاتب بعضهم بعضًا.

وخرج ابن ماجه من حديث ابن الزبير -رضي الله عنه- قال: «لَمْ يَكُنْ بَيْنَ إِسْلَامِهِمْ وَبَيْنَ أَنْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ يُعَاتِبُهُمُ اللَّهُ بِهَا إِلَّا أَرْبَعُ سِنِينَ».

وقد سمع كثير من الصالحين هذه الآية تتلى، فأثرت فيهم آثارًا متعددة، فمنهم من مات عند ذلك لانصداع قلبه بها، ومنهم من تاب عند ذلك وخرج عما كان فيه.

وقد ذكرنا أخبارهم في كتاب (الاستغناء بالقرآن).

وقال تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[الحشر: ٢١] الآية.

قال أبو عمران الجوني: والله لقد صرف إلينا ربنا في هذا القرآن ما لو صرفه إلَى الجبال لحتها وحناها.

وكان مالك بن دينار يقرأ هذه الآية ثم يقول: أقسم لكم، لا يؤمن عبد بهذا القرآن إلا صدع قلبه.

وروي عن الحسن رحمه الله تعالى قال: يا ابن آدم إذا وسوس لك الشيطان بخطيئة أو حدثت بها نفسك فاذكر عند ذلك ما حملك الله من كتابه مما لو حملته الجبال الرواسي لخشعت وتصدعت أما سمعته يقول: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[الحشر: ٢١].

فإنما ضرب لك الأمثال لتتفكر فيها، وتعتبر بها وتزدجر عن معاصي الله عز وجل، وأنت يا ابن آدم أحق أن تخشع لذكر الله، وما حملك من كتابه وآتاك من حكمة، لأنّ عليك الحساب ولك الجنة أو النار.

"مجموع الرسائل" (١/٢٩٧-٢٩٨)

٥٣- فغلط هؤلاء واشتبه عليهم حظوظ النفوس وشهواتها بأقوات القلوب الطاهرة، والأرواح الزكية المعلقة بالمحل الأعلى، واشتبه الأمر في ذلك أيضًا عَلَى طوائف من المسلمين ممن ينتسب إلَى السلوك، ولكن هذا مما حدث في الإسلام بعد انقراض القُرون الفاضلة، وكان قد حدث قبل ذلك حدثان:

أحدهما: قراءة القرآن بالألحان، بأصوات الغناء وأوزانه وإيقاعاته؛ عَلَى طريقة أصحاب الموسيقى، فرخّص فيه بعض المتقدمين إذا قصد الاستعانة عَلَى إيصال معاني القرآن إلَى القلوب؛ للتحزين والتشويق، والتخويف والترقيق.

وأنكر ذلك أكثر العُلَمَاء. ومنهم من حكاه إجماعًا ولم يثبت فيه نزاعًا، منهم أبو عُبيد وغيره من الأئمة.

وفي الحقيقة هذه الألحان المبتدعة المطربة، تهيج الطباع. وتُلهي عن تدبُّر ما يحصل له من الاستماع، حتى يصير الالتذاذ بمجرد سماع النغمات الموزونة والأصوات المطربة، وذلك يمنع المقصود من تدبر معاني

القرآن، وإنما وردت السنة بتحسين الصوت بالقرآن، لا بقراءة الألحان، وبينهما بون بعيد. وقد بسطنا القول في ذلك في كتاب (بيان الاستغناء بالقرآن في تحصيل العِلْم والإيمان).

"مجموع الرسائل" (٢/٤٦٣)

٥٤- وقول الشافعي: إنَّ الزنادقة وضعت التغبير تصد به الناس عن القرآن: يدل عَلَى أن الإصرار عَلَى سماع الشعر الملحَّن -مع الضرب بقضيب ونحوه- يقتضي شغف النفوس بذلك وتعلقها به، ونفرتها عن سماع القرآن، أو عن استجلاب ثمرات القرآن وفوائده وإصلاح القلوب به، وهذا ظاهرٌ بينٌ.

فإن من كان وجده من سماع الأبيات، لا يكاد يجد رقة ولا حلاوة عند سماع الآيات، فَإِذَا كان هذا حال من أدمن سماع الأبيات الزهدية بالتلحين، فكيف يكون حال من أدمن سماع أشعار الغزل المتضمن لوصف الخمور، والقدود، والخُدود، والثغور والشعور، مع ذكر الهوى ولواعج الأشواق، والمحبة والغرام والاشتياق، وذكر الهجر والوصال، والتجني والصدود والدلال. وكان هذا كله مع آلات الملاهي المطربة المزعجة للنفوس، المثيرة للوجد، المحركة للهوى، لاسيما إن كان المغني ممن تميل النفوس إِلَى صُورته وصوته، ووجد السماع حلاوته وذوقه، وطرب قلبُه في ذلك. فإن هذا كما قال ابن مسعود: ينبت النفاق في القلب، ولا يكاد يبقى معه من الإيمان إلا القليل، وصاحبه في غاية من البعد عن الله والحجاب عنه.

"مجموع الرسائل" (٢/٤٦٥)

٥٥- في حديث مرسل: «**إنَّ هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد. قيل: فما جلاؤها؟ قال: تلاوة كتاب الله**». وفي حديث آخر مرسل: أن النبي ﷺ خطب بعدما قدم المدينة فَقَالَ: «**إنَّ أحسن الحديث كتاب الله، قد أفلح من زينه الله في قلبه، وأدخله في الإسلام بعد الكفر؛ واختاره عَلَى ما سواه من أحاديث الناس، إنه أحسن الحديث وأبلغُه، أحبوا ما أَحَبّ الله، أحبوا الله من كل قلوبكم**».

وقال ميمون بن مهران: إنَّ هذا القرآن قد خَلِقَ في صدور كثير من الناس، والتمسوا حديثًا غيره، وهو ربيع قلوب المؤمنين، وهو غض جديد في قلوبهم. وقال محمد بن واسع: القرآن بستان العارفين حيث ما حلوا منه، حلوا في نزهة. وقال مالك بن دينار: يا حملة القرآن، ماذا زرع القرآن في قلوبكم؟! فإن القرآن ربيع المؤمن، كما أن الغيث ربيع الأرض، فقد ينزل الغيثُ من السماء إِلَى الأرض، فيصيب

الحش فتكون فيه الحبة، فلا يمنعها نتن موضعها أن تهتز وتخضر وتحسن، في حملة القرآن، ماذا زرع القرآن في قلوبكم؟! أين أصحاب سورة؟ أين أصحاب سورتين؟! ماذا عملتم فيهما.

وقال الحسن: تفقدوا الحلاوة في الصلاة، وفي القرآن، وفي الذكر، فإن وجدتموها فامضوا وأبشروا، وإن لم تجدوها فاعلموا أن الباب مغلق.

اسمع يا من لا يجد الحلاوة في سماع الآيات، ويجدها في سماع الأبيات، في حديث مرفوع: «**من اشتاق إِلَى الجنة فليسمع كلام الله**».

كان داود الطائي يترنم بالآية في الليل، فيرى من سمعه أن جميع نعيم الدُّنْيَا جُمِعَ في ترنمه.

قال أحمد بن أبي الحواري: إني لأقرأ القرآن، فانظر في اية منه، فيحارُ فيها عقلي، وأعجبُ من حفاظ القرآن، كيف يهنيهم النوم ويسعهم أن يشتغلوا بشيء من الدُّنْيَا، وهم يتلون كلام الله؟! أما لو فهموا ما يتلون، وعرفوا حقه، وتلذذوا به، واستحلوا المناجاة به، لذهب عنهم النوم، فرحًا بما قد رزقوا.

قال ابن مسعود: لا يسأل أحدٌ عن نفسه غير القرآن، فمن كان يحب القرآن فهو يحب الله ورسوله. قال شهل التستري: علامةُ حب الله حب القرآن. وقال أبو سعيد الخزار: من أَحَبّ الله أَحَبّ كلام الله ولم يشبع من تلاوته.

ويروى عن معاذ قال: سَيَبْلى القرآن في صدور أقوام كما يبلى الثوب فيتهافت، فيقرؤونه لا يجدون له شهوة.

وعن حذيفة قال: يوشك أن يدرس الإسلام، كما يدرس وشي الثوب؛ ويقرأ الناس القرآن لا يجدون له حلاوة.

وعن أبي العالية قال سيأتي عَلَى الناس زمان، تخربُ فيه صدورهم من القرآن، وتبلى كما تبلى ثيابهم، وتُهافت فلا يجدون له حلاوة ولا لذاذة.

قال أبو محمد الجريري –وهو من أكابر مشايخ الصوفية–: من استولت عليه النفس، صار أسيرًا في حكم الشهوات، محصُورًا في سجن الهوى، فحرم الله عَلَى قلبه القوائد، فلا يستلذه بكلامه، ولا يستحليه، وإن كثر ترداده عَلَى لسانه. وذُكر عند بعض العارفين أصحاب القصائد، فَقَالَ: هؤلاء الفرارُون من الله عز وجل لو ناصحُوا الله وصدقوه، لأفادهم في سرائرهم، ما يشغلهم عن كثرة التلاقي.

واعلم أن سماع الأغاني يضاد سماع القرآن من كل وجه، فإن القرآن كلام الله، ووحيه ونُوره الَّذِي أحيا الله به القُلوب الميتة، وأخرج العباد به من الظلمات إِلَى النور.

والأغاني وآلاتها مزامير الشيطان؛ فإن الشيطان قرآنه الشعر، ومؤذنه المزمار ومصائده النساء كذا قال قتادة وغيره من السَّلف، وقد روي ذلك مرفوعًا من رواية عبيد الله بن زَحْر، عن علي بن يزيد عن القاسم، عن أبي أمامة، عن النبي ﷺ وقد سبق ذكر هذا الإسناد.

والقرآن تُذكر فيه أسماء الله وصفاته وأفعاله، وقدرته وعظمته، وكبرياؤه وجلاله، ووعده ووعيده.

والأغاني إِنَّمَا يذكر فيها صفات الخمر والصور المحرمة، الجميلة ظاهرها؛ المستقذر باطنها، التي كانت تُرابًا، وتعُود ترابًا.

فمن نزل صفاتها عَلَى صفات من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فقد شبَّه، ومرق من الإسلام كما يمرُق السهمُ من الرمية.

"مجموع الرسائل" (٢/٤٧٠-٤٧١-٤٧٢)

٥٦- وفي الجملة، فسماع القرآن ينبت الإيمان في القلب كما ينبت الماء البقل، وسماع الغناء ينبت النفاق، كما ينبت الماء البقل ولا يستويان حتى يستوي الحق والبطلان ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ * وَلا الظُّلُمَاتُ وَلا النُّورُ * وَلا الظِّلُّ وَلا الْحَرُورُ * وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر:١٩-٢٢].

"مجموع الرسائل" (٢/٤٧٤)

٥٧- وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحجر:٩] فتكفَّل الله سبحانه بحفظ كتابه، فلم يتمكّن أحدٌ من الزيادة في ألفاظه ولا من النقص منها.

وقد كان النبيُّ ﷺ يُقرئ أمَّته القرآن في زمانه عَلَى أحرفٍ مُتعددة؛ تيسيرًا عَلَى الأمة لحفظه وتعلمه، حيث كان فيهم العجوزُ والشَّيخ الكبير، والغلام والجارية والرجلُ الَّذِي لم يقرأ كتابًا قط.

فطلب لهم الرخصة في حفظهم له أن يُقرئهم عَلَى سبعة أحرف؛ كما ورد ذلك في حديث أبي بن كعب وغيره.

ثم لما انتشرت كلمةُ الإسلام في الأقطار، وتفرَّق المسلمون في البُلدان المتباعدة صار كلُّ فريق منهم يقرأ القرآن عَلَى الحرف الَّذِي وصل إِلَيْهِ.

فاختلفوا حينئذٍ في حروف القرآن، فكانوا إذا اجتمعوا في الموسم أو غيره اختلفوا في القرآن اختلافًا كثيرًا.

فأجمع أصحابُ النبي ﷺ في عهد عُثمان عَلَى جمع الأمَّةِ عَلَى حرفٍ واحد، خشية أن تختلف هذه الأمة في كتابها كما اختلف الأممُ قبلهم في كُتبهم، ورأوا أنَّ المصلحة تقتضي ذلك.

وحرَّقوا ما عدا هذا الحرف الواحد من المصاحف، وكان هذا من محاسن أمير المؤمنين عثمان –رضي الله عنه– التي حمده عليها عَليٍّ وحُذيفة وأعيانُ الصحابة.

وإذا كان عُمر قد أنكر عَلَى هشام بن حكيم بن حزام عَلَى عهد النبي ﷺ في آيةٍ أشدُّ الإنكار، وأبيُّ بن كعب حصل له بسبب اختلاف القرآن ما أخبر به عن نفسه من الشك، وبعض من كان يكتبُ الوحي للنبي ﷺ ممن لم يرسخ الإيمانُ في قلبه ارتد، بسبب ذلك حتى مات مرتدًّا.

هذا كلُّه في عهد النبي ﷺ، فكيف الظن بالأمّة بعده أنْ لو بقي الاختلافُ في ألفاظ القرآن بينهم.

فلهذا ترك جمهورُ علماء الأمة القراءة بما عدا هذا الحرف الَّذِي جمع عثمان عليه المسلمين، ونهوا عن ذلك. ورخَّص فيه نفرٌ منهم، وحُكي رواية عن أحمد ومالك مع اختلاف عنهما عَلَى ذلك به في الصلاة وغيرها أم خارج الصلاة فقط.

وبكل حال: فلا تختلف الأمة أنه لو قرأ أحدٌ بقراءة ابن مسعود ونحوها مما يخالف هذا المصحف المجتمع عليه، وادَّعى أنَّ ذلك الحرف الَّذِي قرأ به هو حرف زيد بن ثابت الَّذِي جمع عليه عثمانُ الأمَّة، أو أنَّه أولى بالقراءة من حرف زيد: لكان ظالمًا متعديًا مستحقًّا للعقوبة. وهذا لا يختلف فيه اثنان من المسلمين. إِنَّمَا محل الخلاف: إذا قرأ بحرف ابن مسعود ونحوه مع اعترافه أنَّه حرفُ ابن مسعود المخالف لمصحف عثمان –رضي الله عنه–.

"مجموع الرسائل" (٢/٦٢٠–٦٢١)

٥٨– وإذا أردت معرفة ذلك وتحقيقه، فانظر إِلَى علم الإمام أحمد –رضي الله عنه– بالكتاب والسنة.

أمَّا علمه بالكتاب: فإنه –رضي الله عنه– كان شديد العناية بالقرآن وفهمه وعلومه، وكان يقول لأصحابه: قد ترك الناسُ فهم القرآن، عَلَى وجه الذم لهم.

وقد جمع في القرْآن كثيرًا من الكتب، من ذلك: كتاب (الناسخ والمنسوخ)، و(المقدم والمؤخر) وجمع (التفسير الكبير)، وهو محتوٍ عَلَى كلام الصحابة والتابعين في التفسير.

وتفسيرهُ من جنس التفاسير المنقولة عن السَّلف: من تفاسير شيوخه كعبد الرزاق، ووكيع، وآدم بن أبي إياس وغيرهم. ومن تفاسير أقرانه كإسحاق وغيره، وممن بعده ممن هو عَلَى منواله كالنسائي، وابن ماجه، وعبد ابن حُميد، وابن أبي حاتم، وغيرهم من أهل الحديث. وكلُّ هؤلاء جمعوا الآثار المروية عن السَّلف في التفسير من غير زيادة كلام من عندهم.

"مجموع الرسائل" (٢/٦٢٩)

٥٩- ومما يستجلب به المحبة تلاوة القرآن بالتدبر والتفكر، ولا سيما الآيات المتضمنة للأسماء والصفات والأفعال الباهرات، ومحبة ذلك يستوجب به العبد محبة الله ومحبة الله له.

وفي الصحيحين عن أنس "أن رجلًا كان يصلي بهم ويختم قراءته ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فأمر النبي ﷺ أن يسأل عن ذلك، فَقَالَ: إنها صفة الرحمن وأنا أَحَبّ أن أقرأها، فَقَالَ ﷺ: «**أخبروه أن الله يحبه**».

"مجموع الرسائل" (٣/٣٢٠)

٦٠- الباب الخامس: في استلذاذ المحبين بكلام محبوبهم وأنه غذاء قلوبهم وغاية مطلوبهم.

خرَّج ابن ماجه والترمذي من رواية موسى بن عبيدة عن المقبري عن الأدرع السلمي قال: كان رجل يقرأ قراءة عالية، فمات بالمدينة فحملوا نعشه، فَقَالَ النبي ﷺ: «**ارفقوا به رفق الله به، إنه كان يحب الله ورسوله**» قال: وحضر حضرته فَقَالَ: أوسعوا له وسع الله عليه فَقَالَ بعض الصحابة: يا رسول الله، لقد حزنت عليه؟ قال: «**أجل، إنه كان يحب الله ورسوله**».

وروى أبو إسحاق، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن ابن مسعود قال: «**لا يسأل عبد عن نفسه إلا القرآن، فإن كان يحب القرآن فإنَّه يحب الله ورسوله**».

ورواه الحر بن مالك، عن شعبة، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله مرفوعًا: «**من سره أن يحب الله ورسوله فليقرأ في المصحف**» والموقوف أصح.

ورويناه من طريق سلمة بن كهيل، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن ابن مسعود قال: «**من كان يحب أن يعلم أنَّه يحب الله –عز وجل–فليعرض نفسه عَلَى القرآن، فمن أَحَبّ القرآن فهو يحب الله عز وجل فإنما القرآن كلام الله عز وجل**».

وقال أحمد بن أبي الحواري: سمعت ابن عيينة يقول: "لا تبلغون ذروة هذا الأمر حتى لا يكون شيء أَحَبّ إليكم من الله عز وجل، فمن أَحَبّ القرآن فقد أَحَبّ الله عز وجل".

قال أحمد بن أبي الحواري: سمعت محمد بن حفص يذكر عن عروة الرقي قال: "حب الله عز وجل: حب القرآن، وحب رسول الله ﷺ: العمل بسنته" وقال أبو سعيد الخراز: "من أَحَبّ الله –عز وجل– أَحَبّ كلامه ولم يشبع من تلاوته".

وقال أبو طالب المكي: قال سهل بن عبد الله: "علامة حب الله: حب القرآن".

وقال أبو طالب: حدثونا عن بعض المريدين قال: "وجدت حلاوة المناجاة في مر الإرادات، فأدمت عَلَى قراءة القرآن ليلا ونهارًا، ثم لحقني فترة فانقطعت عن التلاوة، فسمعت قائلا يقول في المنام: إن كنت تزعم حبي فلم جفوت كتابي؟ أما ترى إِلَى ما فيه من لطيف عتابي.

قال: فانتبهت وقد أُشْرب قلبي محبة القرآن، فعاودت إِلَى حالي الأولى".

"مجموع الرسائل" (٣/٣٢٨)

٦١- ومن الأنس بالله –عز وجل– الأنس بكلامه وذكره والأنس بالعلم النافع الَّذِي بلغه رسوله ﷺ عنه.

وروى أبو نعيم بإسناده عن ذي النون قال: "الأنس بالله نور ساطع، والأنس بالناس غم واقع".

"قيل لذي النون: ما الأنس بالله؟ قال: العِلْم والقرآن".

ومن كلام الفضيل بن عياض: كفى بالله محبًّا وبالقرآن مؤنسًا وبالموت واعظًا، اتخذ الله صاحبًا وح الناس جانبًا.

وقال: "من لم يستأنس بالقرآن فلا أنس الله وحشته".

"مجموع الرسائل" (٣/٣٣٩)

٦٢- وقد ورد في شفاعة القرآن لقارئة ودفعه عنه عذاب القبر خصوصًا سورة تبارك الذي بيده الملك.

وخرج النسائي في (عمل اليوم والليلة) بإسناده عن ابن مسعود قال من قرأ تبارك الذي بيده الملك كل ليلة منعه الله بها من عذاب القبر وكنا في عهد رسول الله ﷺ نسميها المانعة.

"مجموع الرسائل" (٥/٧١-٧٢)

٦٣- ومراد أبي عبيد: أن صفرة لون صاحب القرآن إنما هي من تأثير القرآن فيه، وتخلقه بهذه الأوصاف الحميدة.

"مجموع الرسائل" (٥/٢٨٩)

٦٤- عن محمود بن لبيد أن أسيد بن الحضير كان من أحسن الناس صوتا بالقرآن فقرأه ليلة وفرسه مربوطة عنده، وابنه نائم إلى جنبه فأدار الفرس في رباطه فقرأ، فأدار الفرس في رباطه فانصرف وأخذ ابنه وخشي أن يطأه الفرس، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**اقرأ أسيد، فإن الملائكة لم تزل تسمع صوتك، فلو أنك قرأت أصبحت ظلة بين السماء والأرض يراها الناس فيها الملائكة**» وفي هذا السياق دلالة على فضيلة الصوت الحسن بالقرآن.

"مجموع الرسائل" (٥/٣١١-٣١٢)

٦٥- أهل الجنة يقرؤون ويترنمون بالقرآن وغيره من الأذكار، ويُقرأ لهم ويُغنى لهم بأصوات، فيحصل لهم بذلك من اللذة والطرب ما لا يحصل لأحد من ذوي اللذات والطرب في الدنيا، لأن لذة الجنة زائدة على لذات الدنيا بأضعاف مضاعفة.

"مجموع الرسائل" (٥/٣٢٥)

٦٦- والقرآن نوعان:

أحدُهما: ما كُرِّر لفظُه لفائدةٍ مجدَّدةٍ، فهذا هو المتشابه.

والثاني: ما نُوّع وقُسِم ولم يُكرّر لفظُه، فهذا المثاني.

وقد جَمَعَ اللهُ بين هذين الوصفين في قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ﴾ [الزمر:٢٣] فوصف الكتاب كلَّه بأنَّه متشابهٌ ومثاني، فإمَّا أن يكون تنويعًا إلى هذين النوعين، وهما: النظائر المتماثلة، والمثاني في الأنواع؛ وإمَّا أن يكون المراد أنَّ آياته المتماثلة ثُنِّيَتْ فيه في مواضع لحِكَمٍ وفوائد متجدّدةٍ.

"تفسير الفاتحة" (ص ٣٨)

٦٧- القرآنَ كلَّه أربعةُ أقسامٍ: السبع الطُوَل، والمئون، والمثاني، والمفصّل، كما في (المسند) وغيرِه عن واثلة بن الأسقع أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**أُعطيتُ مكان التوراةِ السَّبعَ الطُوَلَ، وأُعطيتُ مكان الزَّبورِ المئين، وأُعطيتُ مكان الإنجيلِ المثانيَ، وفُضِّلتُ بالمفصّلِ**».

وقد رُوي نحو ذلك عن ابنِ عبَّاسٍ وغيرِه.

والسَّبع الطُوَلُ هي: البقرة، وآل عمران، والنِّساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، ويونس، كذا قال ابنُ عبَّاسٍ وسعيدُ بنُ جبيرٍ، وقيل: إنَّ السابعة: الأنفال وبراءة.

والمئون: ما كان بعد ذلك من السُّور يبلغُ عددُه مائةً، مائةً، أو يزيدُ عليها قليلًا أو ينقصُ قليلًا.

والمثاني: ما سوى ذلك، وسوى المفصل، وسُمِّي مثاني قيل: لأنَّه يتلوُ المئين، فكأنَّ المئين أوائل وهذه ثواني؛ وقيل: لأنَّه تُثنَّى فيه القَصَصُ والأمثالُ والفرائضُ والحدودُ، ونُقل عن ابنِ عبَّاسٍ وسعيدِ بنِ جبيرٍ.

"تفسير الفاتحة" (ص ٣٩)

٦٨- وقد اختلفَ في تفضيلِ بعضِ القرآن على بعضٍ، فأنكر قومٌ ذلك، قالوا: لأنَّه كلَّه كلامُ الله، وصفةٌ من صفاتِه، فلا يوصف بعضُه بالفضلِ على بعضٍ، وحُكي عن مالكٍ نحو هذا، وهو قولُ الأشعريِّ وابنُ الباقلانيِّ وجماعةٌ.

وقيل: التفضيل يعودُ إلى ثوابِه وأجرِه، لا إلى ذاتِه، وهو قولُ طائفةٍ منهم ابنُ حِبَّان.

وقيل: بل التفضيلُ يعود إلى اعتبارين:

أحدهما: اعتبار تكلُّم الله به.

والثاني: اعتبار ما تضمَّنه من المعاني، فما تضمَّن التوحيد والتنزيه أعظم مما تضمَّن الإخبار عن الأُمم أو ذكر أبي لهب ونحو ذلك.

وهذا قولُ إسحاقَ وكثيرٍ من العلماء والمتكلِّمين، وهو الصَّحيحُ الذي تدلُّ عليه النُّصوصُ الصَّحيحة.

"تفسير الفاتحة" (ص ٤٦)

٦٩- القرآنَ كلَّه شفاءٌ عامٌ، فهو شِفاءٌ لأدْوَاءِ القلوبِ من الجهلِ والشكِّ والرَّيبِ وغيرِ ذلك، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾[يونس:٥٧].

وهو أيضًا شفاءٌ لأدْوَاءِ الأجسامِ، وقد وَصَفَهُ اللهُ بأنَّه شفاءٌ مُطلقٌ في غير موضعٍ، فقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾[فصلت:٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[الإسراء:٨٢]، ومِنْ هُنا لبيانِ الجنسِ، لا للتبعيضِ.

وفي (سُنن ابنِ ماجه) من حديث عليٍّ -رضي الله عنه- عن النبيِّ ﷺ قال: «خَيرُ الدَّواءِ القرآن».

فالقرآنُ كلُّه شفاءٌ، والفاتحةُ أعظمُ سُورةٍ فيه، فلها من خصوصيَّة الشِّفاءِ ما ليس لغيرِها، ولم يَزَل العارفون يتَداوَون بها من أسقامِهم، ويجدون تأثيرَها في البُرْءِ والشِّفَاءِ عاجلًا.

"تفسير الفاتحة" (ص ٥٢-٥٣)

٧٠- قال ابن رجب: قَرَأْتُ بِخَطِّ السَّيْفِ بْنِ المِجْدِ الحَافِظِ قَالَ: حَدَّثَنِي الإِمَامُ رحمه الله يَعْنِي الشَّيخَ مُوَفَّقَ الدِّيْنِ -حَدَّثَنِي القَاضِي أَبُو المعَالِي أَسْعَدُ بْنُ المنَجَّى قَالَ: كُنْتُ يَوْمًا عِنْدَ الشَّيْخِ أَبِي البَيَان، وَقَدْ جَاءَهُ ابْنُ تَمِيْمٍ فَقَالَ لَهُ: وَيْحَكَ، الحَنَابِلَةُ إِذَا قِيْلَ لَهُمْ: مِنْ أَينَ لَكُمْ أَنَّ القُرآنَ بِحَرْفٍ وَصَوْتٍ؟ قَالُوا: قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿الم﴾، ﴿حم﴾، ﴿كهيعص﴾، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ فَأَعْرَبَه فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرُ حَسَنَاتٍ» وَقَالَ عليه السلام: «يَجْمَعُ اللهُ الخَلَائِقَ» وَذكَرَ الحَدِيْثَ. وَأَنْتُمْ إِذَا قِيْلَ لَكُمْ: مِنْ أَيْنَ قُلْتُمْ إِنَّ القُرْآنَ مَعْنًى فِي النَّفْسِ؟ قُلْتُمْ: قَالَ الأَخْطَلُ:

إِنَّ الكَــلَامَ مِــن الفُــؤَادِ، وَإِنَّمَــا ... جُعِـلَ اللِّسَـانُ عَلَـى الفُـؤَادِ دَلِـيْلًا

فَالحَنَابِلَةُ أَتَوْا بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَقَالُوا: قَالَ اللهُ تَعَالَى، وَقَالَ رَسُوْلُهُ، وَأَنْتُمْ قُلْتُمْ: قَالَ الأَخْطَلُ، شَاعِرٌ نَصْرَانِيٌّ خَبِيْثٌ، أَمَا اسْتَحْيَيْتُمْ مِنْ هَذَا القَبِيْحِ؟ جَعَلْتُمْ دِيْنَكُمْ مُبَيَّنًا عَلَى قَوْلِ نَصْرَانِيٍّ، وَخَالَفْتُمْ قَوْلَ اللهِ تَعَالَى، وَقَوْلَ الرَّسُوْلِ ﷺ، أَوْ كَمَا قَالَ.

"ذيل الطبقات" (٣/١٠٤)

٧١- يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ هُبَيْرَةَ بْنِ سَعْدِ بنِ الحَسَنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الحَسَنِ الشَّيْبَانِيُّ الدُّوْرِيُّ، ثُمَّ البَغْدَادِيُّ، الوَزِيْرُ، العَالِمُ، العَادِلُ، صَدْرُ الوُزَرَاءِ، عَوْنُ الدِّينِ، أَبُو المظَفَّرِ.

قَالَ مُصَنِّفُ سِيْرَتِهِ: وَسَمِعْتُهُ يَقُوْلُ: مِنْ مَكَايِدِ الشَّيْطَانِ تَنْفِيْرُهُ عِبَادَ اللهِ مِنْ تَدَبُّرِ القُرْآنِ؛ لِعِلْمِهِ أَنَّ الهُدَى وَاقِعٌ عِنْدَ التَّدَبُّرِ، فَيَقُوْلُ: هَذِهِ مُخَاطَرَةٌ، حَتَّى يَقُوْلَ الإِنْسَانُ: أَنَا لَا أَتَكَلَّمُ فِي القُرْآنِ تَوَرُّعًا.

"ذيل الطبقات" (١٥٦/٢)

٧٢- عن مُعَاذُ بنُ المثَنَّى العَنْبَرِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ بنَ حَنْبَلٍ يَقُوْلُ: أُصُوْلُ الإِيْمَانِ ثَلَاثَةٌ: دَالٌّ، وَدَلِيْلٌ، وَمُسْتَدِلٌّ، فَالدَّالُ: اللهُ تبارك وتعالى ، وَالدَّلِيْلُ: القُرآنُ، والمسْتَدِلُّ: المؤْمِنُ، فَمَنْ طَعَنَ عَلَى حَرْفٍ مِنَ القُرآنِ فَقَدْ طَعَنَ عَلَى اللهِ تَعَالَى وَعَلَى كِتَابِهِ، وَعَلَى رَسُوْلِهِ ﷺ.

"ذيل الطبقات" (٣٠٣/١)

٧٣- قَالَ أَبُو نَصْرٍ السِّجْزِيُّ: اخْتَلَفَ القَائِلُوْنَ بِتَكْفِيْرِ القَائِلِ بِخَلْقِ القُرآنِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: كُفْرٌ يَنْقُلُ عَنِ المِلَّةِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: كُفْرٌ لَا يَنْقُلُ عَنِ المِلَّةِ، ثُمَّ إِنَّ الإِمَامَ أَحْمَدَ الَّذِي هُوَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَلَى أَهْلِ البِدَعِ - قَدْ كَانَ يَقُوْلُ لِلْمُعْتَصِمِ: يَا أَمِيْرَ المؤْمِنِيْنَ، وَيرَى طَاعَةَ الخُلَفَاءِ الدَّاعِيْنَ إِلَى القَوْلِ بِخَلْقِ القُرْآنِ، وَصَلَاةَ الجُمَعِ وَالأَعْيَادِ خَلْفَهُمْ وَلَوْ سَمِعَ الإِمَامُ أَحْمَدُ مَنْ يَقُوْلُ هَذَا القَوْلَ، الَّذِي لَمْ يَرِدْ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَا عَنْ أَحَدٍ قَبْلَهُ: لأَنْكَرَهُ أَشَدَّ الإِنْكَارِ، فَقَدْ كَانَ يُنْكِرُ أَقَلَّ مِنْ هَذَا، ثُمَّ إِنْ عَلِمْتُمْ أَنْتُمْ هَذَا، أَفَيَحِلُّ لِي وَلِمِثْلِي مِمَّنْ لَمْ يَعْلَمْ صِحَّةَ هَذَا القَوْلِ أَنْ يَقُوْلَ بِهِ؟ وَهَلْ فَرَضَ الجَاهِلِ بِشَيءٍ إِلَّا السُّكُوْتُ عَنْهُ؟ فَأَنَا مَا أَنْكَرْتُ هَذَا إِلَّا عَلَى الجَاهِلِ بِهِ.

أَمَّا مَنْ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى الأَسْرَارِ، وَعَلِمَ مَا يَفْعَلُهُ اللهُ تَعَالَى عَلَى جَلِيَّتِهِ فَمَا أَنْكَرْتُ عَلَيْهِ. وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَأْمُرَنِي أَنْ أَقُوْلَ بِمَقَالَتِي مَعَ جَهْلِي بِمَا قَدْ عَلِمَهُ، لكِنْ إِذَا اعْتَقَدْتُمْ هَذَا، فَيَنْبَغِي أَنْ يَظْهَرَ عَلَيْكُمْ آثَارُ العَمَلِ بِهِ فِي تَرْكِ مُصَادَقَتِهِمْ، وَمُوَادَّتِهِمْ وَزِيَارَتِهِمْ، وَأَنْ لَا تَعْتَقِدُوا صِحَّةَ وِلَايَتِهِمْ، وَلَا قَبُوْلَ كِتَابِ حَاكِمٍ مِنْ حُكَّامِهِمْ، وَلَا مَنْ وَلَّاهُ أَحَدٌ مِنهُمْ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُوْنَ أَنَّ قَاضِيْكُمْ إِنَّمَا وِلَايَتُهُ مِنْ قِبَلِ أَحَدِ دُعَاتِهِمْ.

"ذيل الطبقات" (٣٢٩/٣-٣٣٠)

٧٤- عن عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدُ بنِ حَنْبَلٍ قَالَ: سُئِلَ أَبِي عَنْ رَجُلٍ وَجَبَ عَلَيْهِ تَحْرِيْرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ، فَكَانَ عِنْدَهُ مَمْلُوْكُ سُوْءٍ، لَقَّنَهُ أَنْ يَقُولَ بِخَلْقِ القُرآنِ؟ فَقَالَ: لَا يُجْزِئُ عَنْهُ عِتْقُهُ؛ لِأَنَّ اللهَ عز وجل أَمَرَهُ بِتَحْرِيْرِ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ، وَلَيْسَ هَذَا بِمُؤْمِنٍ، هَذَا كَافِرٌ.

"ذيل الطبقات" (٣٠١/١)

٧٥-كَانَ أَبُو الخَطَّابِ رضي الله عنه -يقصد الكلوذاني- فَقِيْهًا، عَظِيْمًا، كَثِيرَ التَّحْقِيْقِ، وَلَهُ مِنَ التَّحْقِيْقِ وَالتَّدْقِيْقِ الحَسَنِ فِي مَسَائِلِ الفِقْهِ وَأُصُوْلِهِ شَيْءٌ كَثِيْرٌ جِدًّا، وَلَهُ مَسَائِلُ يَنْفَرِدُ بِهَا عَنِ الأَصْحَابِ.

وَوَقَفْتُ عَلَى فَتَاوَى أُرْسِلَتْ إِلَى أَبِي الخَطَّابِ مِنَ (الرَّحْبَةِ) فَأَفْتَى فِيْهَا فِي الشَّهْرِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ فِي جُمَادَى الآخِرَةِ سَنَةَ عَشْرٍ وَخَمْسِمَائَةَ، وَأَفْتَى فِيْهَا ابنُ عَقِيْلٍ، وَابْنُ الزَّاغُونِيّ أَيْضًا.

مِنْهَا: إِذَا كُتِبَ القُرْآنَ بِالذَّهَبِ تَجِبُ فِيْهِ الزَّكَاةُ إِذَا كَانَ نِصَابًا، وَيَجُوْزُ لَهُ حَكُّهُ وَأَخْذُهُ، وَوَافَقَهُ ابنُ الزَّاغُوْنِيّ، وَزَادَ إِنَّ كِتَابَتَهُ بِالذَّهَبِ حَرَامٌ، وَيُؤْمَر بِحَكِّهِ، وَلَا يَجُوْزُ لِلرَّجُلِ اتِّخَاذُهُ.

"ذيل الطبقات" (٢٨٦/١-٢٨٧)

٧٦- وَذَكَرَ أَيْضًا -يقصد ابن تيمية- فِي (مَسَائِلِهِ المارِدَانِيَّاتِ) أَنَّ طَائِفَةً مِنَ الأَصْحَابِ لَمْ يَذْهَبُوا إِلَى صِيَامِ يَوْمِ الغَيْمِ، مِنْهُم أَبُو القَاسِمِ بنُ مَنْدَه.

"ذيل الطبقات" (٦٣/١)

٧٧- قَالَ ابْنُ الجَوْزِيّ فِي (المُقْتَبِسِ):

وَسَمِعْتُهُ يَقُوْلُ -يعني ابن هبيرة- فِي قَوْلِهِ ﷺ: «إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ سُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ» قَالَ: إِنَّ الشَّيَاطِينَ لِلْعَاصِي فِي غَيْرِ رَمَضَانَ كَالعُكَّازِ يَقُوْلُ: سَوَّلَ لِي، وَغَرَّنِي، فَإِذَا سُلْسِلَ الشَّيْطَانُ قَلَّ عُذْرُ العَاصِي.

وَسَمِعْتُهُ يَقُوْلُ فِي حَدِيْثِ عَائِشَةَ: "كَانَ أَكْثَرَ صَوْمِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ فِي شَعْبَانَ"، قَالَ مَا أَرَى هَذَا إِلَّا وَجْهَ الرِّيَاضَةِ؛ لأَنَّ الإِنْسَانَ إِذَا هَجَمَ بِنَفْسِهِ عَلَى أَمْرٍ لَمْ يَتَعَوَّدْهُ صَعُبَ عَلَيْهِ، فَدَرَّجَ نَفْسَهُ بِالصَّوْمِ فِي شَعْبَانَ لِأَجْلِ رَمَضَانَ.

"ذيل الطبقات" (١٥١/٢)

٧٨- وَوَقَفْتُ عَلَى فَتَاوَى أُرْسِلَتْ إِلَى أَبِي الخَطَّابِ مِنَ (الرَّحْبَةِ) فَأَفْتَى فِيْهَا فِي الشَّهْرِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ فِي جُمَادَى الآخِرَةِ سَنَةَ عَشْرٍ وَخَمْسِمَائَةَ، وَأَفْتَى فِيْهَا ابنُ عَقِيْلٍ، وَابْنُ الزَّاغُونِيّ أَيْضًا.

مِنْهَا: إِذَا أَجَّرَتْ نَفْسَهَا لِلإِرْضَاعِ فِي رَمَضَانَ، هَلْ لَهَا أَنْ تُفْطِرَ، إِذَا تَغَيَّرَ لَبَنُهَا بِالصَّوْمِ بِحَيْثُ يَتَأَذَّى بِذلِكَ المُرْتَضِعُ؟ أَجَابَ يَجُوْزُ لَهَا ذلِكَ، وَإِذَا امْتَنَعَتْ لَزِمَهَا ذلِكَ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ كَانَ لِأَهْلِ الصَّبِيِّ الخِيَارُ

فِي الفَسْخِ، وَوَافَقَهُ ابنُ الزَّاغُوْنِيّ، وَزَادَ مَتَى قَصَدَتْ بِصَوْمِهَا تَضَرُّرَ الصَّبِيّ عَصَتْ وَأَثِمَتْ، وَكَانَ لِلْحَاكِمِ إِلْزَامُهَا بِالفِطْرِ إِذَا طَلَبَهُ المسْتَأْجِرُ.

وَمِنْهَا: إِذَا رَأَى إِنْسَانًا يَغْرَقُ، يَجُوْزُ لَهُ الإِفْطَارُ إِذَا تَيَقَّنَ تَخْلِيْصَهُ مِنَ الغَرَقِ، وَلَمْ يُمْكِنْهُ الصَّوْمُ مَعَ التَّخْلِيْصِ، وَوَافَقَهُ ابنُ الزَّاغُوْنِيّ.

ذيل الطبقات" (١/٢٨٧-٢٨٨)

والله أعلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المراجع

١- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف لابن رجب - تحقيق طارق بن عوض الله.
٢- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم - ت كوشك.
٣- فتح الباري في شرح صحيح البخاري - لابن رجب - تحقيق أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد.
٤- تقرير القواعد وتحرير الفوائد - تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان.
٥- مجموع رسائل ابن رجب - ت الحلواني.
٦- الذيل على طبقات الحنابلة - تحقيق الشيخ عبد الرحمن بن سليمان العثيمين.